

من مذكرات فلاتي تائب

الكتاب : ليلة طين - من مذكرات فلاتي تائب (رواية)

المؤلف : محمد حنفي

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٦

رقم الإيداع : ٢٣٥٦ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 245 - 8

الناشر

شمس للنشر و الإعلام

٩٥٥٩ ش طارق أبو النور . الهضبة الوسطى. المقطم. القاهرة

ت فاكس ٢٧٢٢٣٨٠٠٤ (٠٢) / ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net

الغلاف : الفنان هاني شمس



من مذكرات فلاتي تائب

.............…..............



محمد حنفي نصر

تحذير واجب

هذا العمل فقط للقراءة... ولا ينصح بمحاولة تقليده أو تطبيق ما جاء به ؛ وخصوصًا للأزواج والمقبلين على الزواج...

وفي حالة ما إذا خالف أحد القراء هذه التعليمات ، فلا يحق له بأي حالٍ من الأحوال الرجوع على المؤلف ، وإنما له فقط في حالة الكسور أو اشتباه في شرخ بالجمجمة من الدرجة الثانية أن يحصل على خصم ٢٠٪ بقسم الكسور والعظام بالقصر العيني... وعقلك في راسك تعرف خلاصك.

المؤلف

(١)

أزمته الكبرى لم تكن في أن يكمل كتابة ما بدأه من اعترافات... كانت أزمته الكبرى هي أين سيخبَئ هذه الأوراق بعيدًا عن يد "نرجس"... فبعد ١٦ سنة زواج وخلفة لم يعد له في البيت مكان يستطيع أن يشعر فيه بخصوصيته.. لا يجرؤ حتى أن يغلق درج مكتبه الصغير بالمفتاح ، وإلا سيتعرض لتحقيق طويل لا يملك فيه الإدعاء بضياع المفتاح فتكون نتيجته كسر الدرج ذاته لإخراج ما في باطنه من أسرار....

- "وبعدين يا عبد الستار ؟"...

فكَّر طويلاً ثم استقرّ رأيه أن يخفي مذكراته في باطن لحاف خالته "رئيفة" القديم المعتق بالنفتالين ، فهو بلا جدال أكثر شيء في الحياة تكرهه "نرجس" ؛ النفتالين ، وأي شيء ينتمي لخالته رئيفة... وخالته تعلم ذلك أيضًا ، ولذلك كانت دائمًا حريصة في زياراتها السنوية أن تحضر معها شيئًا يخصها: ملاية ، شبشب ، كيس مخدة... وتعلنها صراحة في وجه نرجس بأنها تشعر بالقرف من استعمال أشياء الغير ؛ وطبعًا قصدها نرجس... ومنذ الشتاء الذي انقضي منذ أيام استقر لحاف خالته وأشياؤها في دولاب قديم

بحجرة الصغير "رامي" مطعمًا بالنفتالين وبعيدًا عن أي دولاب آخر حرصًا عليه من العتة ، ومن أن يكتسب رائحة ملابسهم الشتوية.. هكذا قالت لتفرس نرجس أكثر وأكثر...

وبناء على كل ما سبق سيظل بطن لحاف الخالة رئيفة هو حصن الأمان لمذكرات عبد الستار لمدة لا تقل عن ٩ شهور حتى تحين زياراتها الشتوية القادمة.

لم يكن عبد الستار في أي يوم شخصية أنانية أو نفعية ، ولذلك حين قرّر ان يكتب مذكرات فلتانه للتاريخ وللأجيال القادمة كان وفيّا شديد الوفاء لصديق العمر ورفيق الدرب "محمود" ، لقد قرّر أن يخلِّده معه إحقاقًا للحق وشهادة للتاريخ.. وهو الأمر الذي كان رد الفعل عليه شديد المفاجأة

- محمود : إنت إيه يا أخي ؟؟ الله يحرقك.

هكذا صرخ فيه محمود صديق العمر وهو يحاول جاهدًا خنقه.

- عبد الستار : مالك يا محمود ، إنت بتخنقني ؟؟ هو أنا أجرمت ؟

- محمود : أجرمت ؟؟ إنت أصلاً جريمة متنقلة.. ده إنت أبوك كان مكشوف عنه الحجاب لما سمّاك عبد الستار... بقى بعد ما ربنا سترك عايز تكتب مغامراتك وتفضح نفسك وتفضحني معاك ؟

هزَّ عبد الستار رأسه بوقار وهو يجيبه :

- إحنا بنكبر يا محمود والعمر بيجري ، واللي أنا بكتبه ده للحقيقة

والتاريخ.. والحقيقة من حق الأجيال اللي لازم تعرفها... شفت بقى سمو أخلاقي، وأغراضي النبيلة ؟.. وبمناسبة الاغراض النبيلة أنا مش ح أجيب سيرتك مع "نبيلة" بتاعة بورسعيد.

- محمود : الله يخرب بيتك يا بعيد.. لو جبت سيرتي ح أقتلك.

- عبد الستار : يعني إيه ما أجبش سيرتك ؟؟ ده حقك يا محمود.

- محمود : حقي ؟؟؟ بص يا عبد الستار ، م الاخر كده عشان ماأفتحش كرشك... عاوز تفضح نفسك إنت حر.. عاوز تحكي للناس بلاويك إن شاالله تلف بيها على القهاوي إنت حر... إنما قسماً عظماً لو جبت سيرتي ح أموتك، أنا لسه بلم في نفسي مع عواطف بعد ما رجعنا لبعض... فاهم والا لأ؟

قطع هذا الحوار آمال عبد الستار في أن يساعده محمود في كتابة عمل مشترك يحكي نزواتهما ومغامراتهما العاطفية ، وتعدى الأمر ذلك إلى أزمة وجد عبد الستار نفسه فيها... وتقديراً للوازع الأخلاقي في سرد التاريخ ، واحتراماً لرغبة صديقه ؛ قرّر أن يتجنب ذكر اسم صديقه محمود في المذكرات ، وأن يكتفي بأن يشير إليه بالحروف الأولى من اسمه (م. م) أي "محمود مصطفى"... وبذلك يكون قد أبرّ بصداقته من ناحية ، ومن ناحية أخرى سيعرف طوب الأرض أن المقصود هو محمود... وبذلك لا يضيع حق الأجيال القادمة في المعرفة... سيكتب كل ما يتذكره... لا يهم إن كانت المغامرة قد حدثت صيفًا أم شتاءَ ، هذا العام أو منذ أعوام ، لن

يرهق نفسه في البحث عن التواريخ، يكفيه الحدث، ويكفيه إبراز براعة الفلتان باعتباره علم لا بد أن يحظى بالاهتمام والدراسة... سيكون عبد الستار أول رائد في هذا العلم الذي يجب أن تتناقله الأجيال الذكورية... نبراسًا للحياة الزوجية... ودروسًا مستفادة في العلاقات النسائية.

إلى الأمام يا عبد الستار...

إلى الأمام يا من يجب أن يذكرك التاريخ.. ويخلدك عالم الرجال بجائزة تُمنح كل عام للرجل الذي استطاع أن يهتدي بعلمك وخبراتك في عالم الفلتان.

استعنا على الشقا بالله.

(٢)

الفلتان في الصغر كالنقش على الحجر

بتثاقل شديد أحمل حقيبتي المدرسية ، أسير متمهلاً خلف صفاء الشغالة التي لا يزيد عمرها عن الثالثة عشر... في ذلك السن الذي لم يتجاوز الخامسة أراها امرأة مكتملة الأركان... وحين مدَّت لي يدها لتمسك بيدي في الطريق رفضت بإباء وأنا اقول لها غاضباَ :

ـ أنا مش عيل صغير عشان تمسكي إيدي

نعم... فكرامتي لا تحتمل أن يراني زملائي في الحضانة والشغالة ممسكة بيدي خوفًا على من السير وحدي... بالإضافة إلى أن السير بجوارها يمنعني من تفحص تقاسيم جسدها الفارع...

استجابت لردي على مضض وهي تحذِّرني :

ـ طب مد شوية أحسن ح نتأخر على الحضانة يا عبده.

نعم أنا عقلة الإصبع الذي لا يكاد يلمحني أحد دون تدقيق... أنا بالفعل هذا الكتكوت الذي لم يخرج بعد من البيضة كما تقولون... استهزئوا ما شاء لكم الاستهزاء ولكن تذكروا كلمتي يا معشر الرجال: عبد الستار قادم

منذ أيامي الأولى في الحضانة وأنا أرنو بعيني بعيدًا إلى مبنى الابتدائي، حيث تظهر من حين لآخر "مس نادية"... أتطلع إلى اليوم الذي أنتقل فيه من مبنى الحضانة إلى مبنى الابتدائي حتى يجمعنى وإياها فصلٌ واحد - أنا ومس نادية - لا يهم إن كان بالفصل ثلاثون غيري، فأنا فقط؛ عبد الستار، أعرف الطريق إلى قلبها.

تهكمت زميلتي "نانا" حين رأتني أتعمد النظر إلى مس نادية، سخرت من لهفتي لرؤياها، ومن محاولاتي الدائمة لأن أكون على الجانب الأقرب في الطابور إلى صف الابتدائي حيث تقف مس نادية... قررتُ أن أصدمها بالحقيقة وبأول اعتراف لي في حياتي بأنني أحب مس نادية، ولن أحب سواها... فأجابتني ساخرة:

ـ يا سلام؟ بقى إنت بتحب مس نادية ؟؟؟

نظرت إليها شذرًا ومحذرًا:

ـ مالكيش دعوة بيا.. إنتي متغاظة عشان أنا بحب مس نادية ومش بحبك، وهاتي علبة الألوان بتاعتي وماتكلمنيش تاني.. أنا مخاصمك.

ردَّت لي علبة الألوان وهي غاضبة:

ـ أحسن مش عايزة منك حاجة

هكذا ظلت مس نادية هي الحلم الذي من أجله صبرتُ على الحضانة حتى نجحتُ فيها بتفوق والتحقتُ بالابتدائي... صدمتي الكبرى أن نصيبي جاء في فصل الأستاذ "عادل" المدرس الضخم العنيف... كانت تلك الأيام هي أيام البؤس التعليمي والحسد العاطفي على كل ولد منحه الله هبة أن يكون في فصل مس نادية.

انقضى العام الأول والثاني، وفي العام الثالث حدثت المعجزة الإلهية: أنا في فصل مس نادية... شاب في التاسعة من عمره يهيم شوقًا بفاتنة المدرسة.. في ذلك الوقت كانت قصتي مع هذا العشق قد انتشرت بين الزملاء بفضل نانا التي قامت بدور وكالات الأنباء حتى أصبحت سيرتي على كل لسان بين العيال، وحتى أصبح اليوم الأول لي في فصل مس نادية حدثًا تاريخيًا يترقبه الجميع... ووصل الأمر إلى طوفان من السخرية من هؤلاء العيال حتى تحداني أحدهم:

ـ يا ابني إنت بالنسبة لمس نادية حتة عيل.

جرح الكبرياء دفعني إلى الدفاع عن حبي بكافة الطرق المشروعة وغير المشروعة:

ـ لعلمكم بقى أنا ومس نادية بنحب بعض وبنتقابل كمان.. وبتبوسني.

ـ طب إجري إجري وبطل كدب.

ـ أنا مش كداب.

انفجروا ضاحكين وهم ينشدون لحن فضيحتي :

ـ مس نادية بتحب عبده وبتبوسه هاهاهاهاها

دمعت عيناي وشاطت كرامتي التي احترقت ، فدافعت عن نفسي باستماتة:

ـ أنا مش كداب.

ـ طب لو مش كداب خليها تبوسك.

ـ ح تبوسني وتحضني كمان.

ـ إمتى ؟؟

ـ مش عارف.

ـ هاهاها.. يالا يا كداب.

ـ أنا مش كداب.

ـ يبقي نتراهن، لو باستك ح نجيب لك مضرب بنج بونج.

ـ موافق.

ـ ولو طلعت كداب ح تجيب لكل واحد فينا مضرب... أوكي ؟

ـ أوكي.

وقتها كان مجموع ٣ مضارب بنج بونج يعادل مصروفي في أسبوع كامل... لم تكن المعضلة في مصروف الأسبوع، لكن المصيبة الكبرى في أن يكتشفوا أن علاقتنا أنا ومس نادية وهمٌ من صنع خيالي وتنتشر الفضيحة في المدرسة... والآن لا مجال للتراجع ، هم ينتظرون خلف شباك حجرة التدريس ومس نادية وحدها الآن...

يراقبون هل ستبوسني وتحضني أم أن الفضيحة ستكون بحلاجل؟ لا مجال للتراجع... ح أبوسها يعني ح أبوسها.

متمهلاً طرقت الباب وعيونهم تراقبني من خلف الزجاج... استحضرت في عيني بعض الدموع وسحابة حزن اجترتها من ذكريات علقة ظالمة لأمي.. أجابت من الداخل مس نادية، ففتحتُ الباب...

ـ تعالى يا عبد الستار... عاوز حاجة ؟

جرجرت قدمي وأنا لم أحضِّر ماذا سأقول...

ـ أصل يا مس كنت عايز أقول لحضرتك أنا آسف.

ـ على إيه يا حبيبي ؟

ـ عشان مجبتش نمرة كويسة في الواجب.

ـ بالعكس.. إنت نمرتك كويسة وأنا مبسوطة منك.

كان عقلي يفرك بحثًا عن سبب يجعلها تقبَلني الآن...

ـ أصل أنا يتيم يا مس... يتيم ماما وبابا وإخواتي وعايش مع تيتة

مدت يدها بهلع وجذبتني إلى حضنها...

ـ يا حبيبي... ماما وبابا وإخواتك ؟؟ إزاي ده حصل ؟؟

ـ كلهم راحوا في حادثة وأنا كنت مع تيتة.

ـ يا حبيبي.

في أحضانها كان قلبي يرقص وهي تمطرني بقبلاتها ، وفي دفء صدرها تخيلت نظرات الدهشة المرسومة الآن على وجوه الغجر زملائي في الفصل.. إنها تحضني وتقبَلني يا كلاب...

أخرجتني من حضنها، وعيونها ممتلئة بالدموع... فتجرأتُ ومددت يدي أمسح دموعها ، ثم زادت جرأتي فقبلتها على خدها بعيوني الدامعة...

ـ تسمحي لي يا مس برة الفصل أقولك يا ماما ؟؟

لم تتمالك أعصابها فبكت واحتضنتني مرة أخرى.

لحظات وغادرت الحجرة منطلقًا إلى زملائي الكلاب:

ـ أنا عايز المضرب أحمر، وعايزه بكرة.

ـ هي كانت بتعيط ليه يا عبده ؟

ـ عشان كنت بقول لها إن حبنا مش ح ينفع يستمر ، وإننا لازم نسيب بعض.

يااااااه على أيام السعادة التي عشتها بعد ذلك اليوم... حنان مس نادية لا يُوصف، وحضنها الذي تمنحني إياه من حين لآخر يجعلني أسير كالغضنفر في حوش المدرسة وسط العيال الأوباش... البنات اللاتي يحاولن التقرب مني أنظر إليهن شذرًا واحتقارًا : من أنتنَّ لتنافسنَّ مس نادية في حبي ؟؟؟ أنا حبيب مس نادية ، في حضنها أرتمي كالعاشق الولهان، في نظراتها يذوب قلبي... يا لها من سعادة.

ولكن السعادة لا تدوم.. وها هو القدر يجيء ليهدم هذا الحب في ذلك اليوم التعس، حين سمعنا جميعًا طرقات على باب الفصل... توجهت مس نادية لتفتح الباب، فإذا بي أنتفض كالمذعور....

- ماما ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

لا إراديًا سالت دموعي وأنا أسمع الحوار الدائر بينهما:

- حضرتك مامته ؟؟؟؟؟

- أيوه.. أنا باعتذر عشان لازم أخده دلوقت.

نظرت مس نادية نحوي بحدة...

- طب ممكن حضرتك نتكلم برة دقيقة ؟

حين غابت مس نادية مع أمي برة الفصل، تمنيت بصدق أن يزورني عزرائيل الموت.

صوت مس نادية وهو يناديني بحدة ينبئني بأن أيام السعادة قد انتهت إلى غير رجعة... وليست تلك هي مصيبتي الوحيدة في ذلك الوقت... ولكن مواجهة ماما وبابا ستكون هي الطامة الكبرى التي لم أعدّ لها العدة من قبل، ولم أتوقعها...

- تعالى يا عبد الستار وهات شنطتك

قالتها مس نادية بمنتهى الغضب والحدة والهدوء... لا أحد من العيال يرى مبررًا لدموعي المنهمرة في صمت.. فقط أنا ومس نادية وأمي نعرف السبب...

أتذكر أنها كانت علقة بلا انقطاع طوال الطريق من المدرسة إلى البيت... ومع كل ضربة كانت أمي تصرخ وهي تنزل بكفيّها على جسدي:

- يتيم ؟؟... قدّامي يا ابن المتوفية.

وأتذكر أيضًا أنهم جميعًا - أمي وأبي ومس نادية - تحالفوا لتحويلي إلى فصل الأستاذ عادل... أتذكر لحظه استقباله لي في الفصل... ومن بعدها فقدت الذاكرة في كل ما يتعلق بالمرحلة الابتدائية من حياتي.

خانتني مس نادية وتنازلت عن حبنا بمنتهى السهولة...

وهنا عليكم أن تستوعبوا الدرس الأول من هذه المذكرات، والذي يتردد أمامكم كثيراً ولا تدركون مغزاه: احذروا أيها الرجال.. الستات مالهومش أمان...

وكما كانت تقول جدتي دائمًا:

- ستات عايزة الحرق.

(٣)

اللي ما يشتري يتفرج

بادرته بالسؤال بمجرد أن دخل السيارة:

ـ ودول جامدين ؟؟

كالعادة أجابني محمود وهو فاشخ ضبه:

ـ إنت ح تشكك في ذوقي والا إيه ؟؟؟

▪ ملحوظة : كما سبق وقلت لكم إنني وعدت محمود بألا أذكره في هذه المذكرات... وكنت قد عقد النية أن أشير إليه بالحروف الأولى من اسمه ، ولكن صعوبة الكتابة بحروف رمزية حالت دون ذلك، كما أن اختراع اسم مفبرك سوف يفقد هذه المذكرات مصداقيتها أمام التاريخ... على أية حال حين يأتي أوان طبعها يبقي يحلها ربنا... ولو وقعت في إيد عواطف مراته يبقي ربنا هو اللي عايز كده، ولكن أنا لن أكذب على التاريخ.

ـ لا يا محمود مش بشكك في ذوقك ولا حاجة.. بس قولي إنت قلت إيه لعواطف ؟

ـ قلت لها رايح أعاين أرض مشروع جديد في الإسماعيلية... وإنت قلت إيه لنرجس؟؟؟

ـ ماقلتش حاجة.. هي من نفسها أخدت رامي وأقنعتها إنها تبات عند أمها.

ـ أقنعتها ؟؟؟ إزاي ؟؟؟

نعم كان الأمر كان يحتاج إلى تكتيك جديد... في الليلة السابقة أخبرني محمود بالترتيبات وأن حفلة الفلتان ستكون بطلتها اتنين مزز جامدين طحن، وبدايتها ستكون في الصباح الباكر إلى اليوم التالي في شقة إحداهما الكائنة في وسط البلد... وبخبرتي الزوجية أعلم أن أي حجة للبيات برة البيت لم تكن لتخيل على نرجس... لذلك أعددت العدة في الصباح الباكر لإقناعها بأن تذهب لتبيت مع حماتي... ويجب أن تعترفوا بأنني كنت مبدعًا... ضبطت المنبه على السابعة صباحًا، واستيقظت... وما أن أحسست بحركتها إلى جواري في السرير تستعد للاستيقاظ حتى انتفضتُ وكأنني أستيقظ مذعورًا أصرخ كالمجنون من كابوس عنيف:

ـ يا ساتر يارب.. يا ساتر يارب.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

ـ مالك يا عبده ؟؟ مالك يا حبيبي ؟؟؟؟؟

ـ يا ساتر يارب يا سااااتر.. هاتي لي ميه.

ـ إيه يا عبده ؟؟؟ كابوس ؟؟؟؟ مالك يا حبيبي؟؟؟

ـ يا حبيبتي يا حماتي يا حبيبتي.

ضربت صدرها بيديها بقوه وهي ملتاعة:

ـ يا لهوي... ماما... مالها ماما ؟؟؟ قول يا عبده.. ماما مالها.

ـ حلمت حلم وحش قوي... أعوذ بالله أعوذ بالله.

ـ خير يا عبده ؟؟ احكي لي الله يخليك.

ـ فاكرة لما كانت عندنا الأسبوع اللي فات ؟؟ وهي ماشية قالت لك بركة إني إتطمنت عليكي ؟

ـ أيوه يا عبده ما هي دي كلمتها دايمًا.

ـ أخر مرة قالتها مرتين ، وبصت لك وسكتت ، وبعدها نزلت من الشقة.

ـ أيوه يا حبيبي، ودي فيها إيه دي ؟ قول بقى ما تبوظش أعصابي.

ـ جات لي من شوية في المنام وشفتها بتقول لك نفس الكلمة ، وبعدها بصت لي وقالت لي : مع السلامة يا عبده ، أنا جاية أودعك... أنا فضلت أعيط وأقول لها : لأ ، لأ يا ماما... وزي ما أكون كده بقيت عندها في البيت ، ودخلتْ المطبخ وقالت لي ح أعمل لك شاي بلبن وأجيب لك البقسماط اللي بتحبه... وفجأة البوتاجاز ولع فيها.. وشفت النار ماسكة فيها وأنا بأصرخ وهي بتصرخ... يا حبيبتي يا حماتي.. يا حبيبتي يا ماما.

هكذا كانت اصطباحة نرجس التي ظلت تبكي وأنا أحتضنها وأشاركها النحيب... أسرعتْ إلى التليفون لتطمئن على أمها وهي لا تدرك ان الساعة وقتها لم تتجاوز السابعة والنصف صباحًا، وأن أمها ما زالت نائمة... زادها عدم الرد قلقًا وهلعًا.

لذلك كان من واجبي الإلحاح عليها لنذهب بأنفسنا لنطمئن عليها ولكنها أصرت ان أذهب إلى عملي بينما أيقظتْ رامي لتأخذه معها على وعد بأن تطمئني بمجرد وصولها إن حماتي بخير...

وفي الطريق إلى محمود ، كانت مكالمتي لحماتي الإجراء الأخير في الخطة :

ـ هي لسه ماوصلتش عندك يا ماما ؟؟

ـ لا يا ابني... هو فيه إيه ؟؟؟

ـ صاحية م النوم بتصرخ وتعيط وتقول : ماما ماما ، أنا عايزة ماما ، وحشاني ماما ، نفسي أنام في حضن ماما.

ـ يا كبدي يا بنتي... أوعى تكون زعلتها يا عبده ؟

ـ والله يا ماما ما حصل حاجة... ما إنتي عارفاني.

ـ أيوه يا حبيبي عارفة. ده أنت أمير الامرا. ياريت كل الرجالة زيك. طب أطلب منك طلب وماتكسفنيش؟

ـ أؤمريني يا ماما.

ـ خليها بايتة معايا النهاردة هي ورامي.

ـ ياه يا ماما.. ما إنتي عارفة أنا ما أقدرش استغنى عنها.

ـ معلش يا حبيبي... عشان خاطري.

انفجر محمود ضاحكًا وهو يستمع إلى تفاصيل خطتي لإبعاد نرجس: ـ ده إنت شيطان ومالكش حل.
ـ عشان تعرف قيمة إنك صاحبي، اتعلم من أستاذك وإنت ساكت، لخص بقى وقول لي عنوان المزة فين ؟
ـ عمارات التوفيقية.
ـ إيه؟؟ يا بني دي كلها شركات.
ـ ما هو ده أضمن... فيها شركات ومكاتب على كام شقة سكن، وماحدش ح يسأل لا رايح فين ولا جاي منين... ولو لا قدر الله اتقفشنا ممكن نقول كنا في أي شركة أو مكتب، أو حتى تايهين في العنوان... أمان يا عبده.
ـ ع البركة

لا شيء يضاهي حفلات الهلس الصباحية؛ خاصةً في أيام الشتاء... كانت المغامرة بالفعل تستحق، استطاعت "نجوى" صاحبة الشقة أن تهيئ جوًا من الأنس الصباحي وتشكيلة متنوعة من المزات تزين ترابيزة دائرية كبيرة في غرفة المعيشة أضافت دفئًا متناغمًا دون نشاز مع زجاجات البيرة المشبرة... وعلى عرش الترابيزه في تمام المنتصف تربعت زجاجة الكونياك الأرمني ملكة متوجة لصباح شتوي لن يغيب عن الذاكرة... أمتعني رقص "أمل" صديقة نجوى، وبدأ الشراب يلعب بالرؤوس وتحول برد يناير إلى حرارة صباحية

ملتهبة دفعتني أنا ومحمود إلى التخفف من ملابسنا لنشارك نجوى وأمل وصلة من الرقص الرباعي؛ أقل ما يوصف به أنه مبتذل... وأنا كما تعرفون "أموت أنا في الابتذال" شاركنا فيها كوكبة من الأغاني المختارة بعناية لرقيها وتساميها؛ أشهرها "أديك في السقف تمحر"، وإتهبدنا مع الموسيقي تننطط كالقرود... بينما كان هناك هبد من نوع مختلف... على باب الشقة...

- يا نهار إسود..... جوزي

قالتها نجوى بصوت هامس كالمذبوحة وهي تلطم على خديها، وأعادتها مرارًا دون أن تتوقف عن اللطم الذي أصبح سيد الموقف نشاركها فيه ونحن نردد استفهامًا لا معنى له:

- جوزك ؟؟؟ يا نهار اسوووود

نعم... هي اللحظة التي يرتفع فيها الأدرينالين إلى أقصى درجاته ويمنحك طاقة لم تكن تتخيل أنك تملكها... ففي جزء من الثانية كانت نجوى وأمل قد دفعتانا إلى بلكونة حجرة النوم، يحتضن كل منا ملابسه وحذاءه... وحين أغلقتا وراءنا الشيش، لم يكن لدى كل منا سوى مساحة لا تتجاوز رُبع متر يمين ويسار الشيش للالتصاق بجدارنها... بينما أقل حركة للأمام كانت ستسمح لرواد الشارع المزدحم برؤيتنا مفضوحين بملابسنا الداخلية... ناهيك عن إن أقل حركة منا لمحاولة ارتداء ملابسنا في هذه البلكونة الضيقة كانت ستحدث جلبة أمام الشيش المغلق فيشعر بنا من في الداخل.

ست ساعات يا محترم في شتاء يناير البارد ونحن متصلبان بملابسنا الداخلية دون حركة في انتظار الفرج... ست ساعات هي المدة التي احتاجها الجيش المصري لعبور قناة السويس وتحطيم خط بارليف، هي ذات المدة التي أتاحت لنا كيفية المشاركة الوجدانية لمعاناة مصابي تشنجات الأعصاب وهشاشة العظام وتيبس المفاصل... وابن سيبريا حين يضل طريقه إلى كوخه ويخرج عليه قاطع طريق يقلعه هدومه... ست ساعات ونحن مصلوبان بملابسنا الداخلية، ولو أطلَّ أحد قاطني العمارات المجاوره من شباكه لرآنا... اثنان بشنبات يقفان شبه عرايا في البلكونة.

أتاح لي طول الوقت تنمية مهارة السمع وأنا أنصت لمحمود وهو يهمس لي بقصة زوج نجوى وأنه سافر إلى إحدى المحافظات قبل وصولنا بساعات ولا يدري مبررًا لعودته المفاجئة... ثم ضاع صوت محمود ولم أعد أسمع منه شيئًا بعد أن أصابه البرد بتصلب في الفكين.

واستهلاكًا للوقت، كنت أحاول تخيل سبب لعودته المفاجئة، وكيف تعاملت نجوى مع الموقف ؛ خاصة في ظل ترابيزة الأنس التي توسطت الغرفة... لم أصل لشيء.. ولكن علمت بعد ذلك أن زوجها نسي بعض أوراقه واتصل بها مرارًا ليخبرها بعودته ، وبالطبع لم تنتبه لصوت الموبايل في ظل الجو الذي كنا عليه... وحين فاجأها استطاعت أن تقنعه بأنها فكّرت في أن تشغل نفسها بجلسة رقص

وفرفشة مع صديقتها أمل... وزيادة في دفع الشبهة أقنعته أن يؤجِّل السفر ليتمتعا معًا بجلسة الأنس التي رغب بعدها الزوج في أن يختمها بلقاء زوجي حميم بعد أن تجرع نصف زجاجة الكونياك وقضى على ترابيزة المزة.

تناثرت بعض التعبيرات والتأوهات إلى سمعنا ونحن في البلكونة، ولكنني ظننت أنها صرخات المعذبين الذين سبقونا إلى الجحيم يشاركوننا في الألم ويضفون على وقفتنا التاريخية روحًا من حميمية.

وحين كادت الساعة تقترب من السابعة، شعرنا بحركة فتح الشيش... اضطربت قلوبنا، وعقدنا العزم أنا ومحمود على الانتحار قفزًا من الدور الثالث... تأهبنا، وبلغت القلوب الحناجر، حتى أطلت نجوى من وراء الشيش تجذبنا إلى الداخل وتدفعنا في صمت عبر حجرة النوم حيث يرقد الزوج، وشخيره ينطلق إلى عنان السماء... ثم جرّتنا جرًا إلى باب الشقة الذي ألقت بنا خارجه، ثم أحكمت إغلاقه بعد أن همستْ:

- كنت ح أروح في داهية، الله يخرب بيوتكم
... طرااااااخ

كان درسًا قاسيًا، وعقوبة نستحقها... ويجب أن لا نلوم إلا أنفسنا.

عاهدتُ نفسي في ذلك اليوم ان أصون كرامتي، وأن أحفظ نفسي من تكرار هذه المهانة والمذلة... وليكن درسًا لكم كما كان درسًا لي.

وعيتُ الدرس جيدًا، وأحفظوها جيدًا:

- إذا أردت أن تهلس في شقة غريبة.. فحذاري... حذاري... أن تخلع ملابسك.. دون أن......

تعاين بحرص... أماكن الهروب.

(١/٤)

مهمة أمن قومي

ـ ودي ح توقعها إزاي يا فالح ؟؟؟؟

جملة التحدي هي دائمًا البداية التي تجعل أوردتي تنتفخ ويملأني الغرور والثقة.

ـ تراهني يا محمود ؟؟

ـ أراهنك على إيه ؟؟؟ إنت إزاي ح توصل لها أصلاً ؟

ـ هي الجمعية بتاعتها مش بتعمل مشاريع ؟؟

ـ دي جمعية خاصة برعاية المكفوفين.. إلا بقى لو حضرتك قررت تتبرع وتعمل فيها رجل البر والخير، وساعتها ح تقابلك تاخد منك الشيك وتديك وصل تبقى تعلقه على الحيطة.

ـ تصدق إنك إنت فعلاً حمار.

ـ أنا اللي حمار ؟؟؟

ـ أيوه طبعًا حمار... إيه الأفكار الهبلة دي ؟

هكذا كان التحدي الذي جعلني واثق الخطوة أمشي ملكًا متجهًا لأطرق باب الدكتورة سوسن...

وربما يكون السؤال الحائر في ذهنك سيدي القارئ : ولماذا سوسن؟ ما الذي فيها يجعلها تمثِّل هذا التحدي العظيم ، والذي يجعلني مصرّا عليها هذا الإصرار ؟؟... وما الداعي إلى هذه المغامرة التي يعلم الله وحده ما ستلقيه عليّ من مصائب سودة مع نرجس؟؟.

هي مجرد نظرة جابت نفوخي أرضًا وأنا أراها تنزل من سيارتها متجهة إلى الفيلا التي بها جمعية رعاية المكفوفين... أعشق المرأة التي ترتدي الكعب العالي؛ ليس لمجرد أنه يزيدها طولاً، ولكن لأنه يجبرها على التقصع في السير... نظرة واحدة إلى عينيها أخبرتني بأنها امرأة لم تلتقِ بعد بمن يشعرها بذاتها وأنوثتها المتفجرة ، بل وأنها من النوع الذي يحترم الرجل الذي يحقِّق لها ذلك.

ـ من الآخر كده ست عايزة اللي يدلعها يا محمود.

ـ يا أخي هو إنت إيه.. شيطان ؟؟ وبعدين دي جامدة جدًا وبعيدة عن شنبك.

ـ ح تشوف يا محمود... اقعد إنت كده على جنب ، واتعلم من الأستاذ.

ـ م الآخر كده... أنا ماليش في المشوار ده معاك... أنا بأحب ألعب على قدي، ولو نرجس قفشتك ما اعرفكش، وما تجيش تولول.

ـ طب غور من وشي.

ربما لا يدرك البعض أن الفلتان ليس ارتجالاً أو فردة صدر... الفلتان علم له أصول ، وفي كل مغامرة لابد من التحضير لها ودراسة أبعادها... فما أسهل ان الجأ لأساليب المبتدئين متوجهًا إليها بشيك تبرع وكلمة من هنا على ضحكة من هنا ونبتدي المشوار... الموضوع أعمق من ذلك، والفكرة أدق من ذلك.

استقر الأمر بداخلي على الضربة الأولى... استلزم الأمر أسبوعًا كاملاً من التدريب على السر مغمض العينين... كنت انتهز نوم نرجس المبكر وأبدأ تدريباتي... لا أخفي عليكم أن البداية كانت صعبة ومؤلمة تحطم على إثرها بعض الأثاث والفازات، مع بعض الرضوض والكدمات بالساقين والركبة اليسرى... وصل الأمر في اليوم الأول إلى الارتجاج في المخ، حيث اصطدمت رأسي بضلفة النيش المفتوحة... خرجت مني الآهة كالمدهوس.. غطت تلك الآهة على صوت نرجس التي ما أن فتحت عينيبا حتى كانت في وجهي تولول... أنا أصرخ وهي تصوت:

- يا خرابي يا خرابي

- آآآآآه... حرام عليكي.. ده أنا اللي اتخبطت في دماغي.

- آه ما أنا عارفة إنك اتخبطت في دماغك، أنا مراقباك من ساعة ما قمت من جنبي تتسحب وماشي مغمض عينيك... مالك يا عبد الستار ؟؟؟ إتجننت يا عبد الستار ؟؟؟؟

- اتجننت إيه ؟ جن لما يلخبطك... احفظي لسانك يا نرجس.

ـ لساني ؟؟ حاضر يا خويا ح أحفظ لساني... إيه اللي جننك كده يا حبيبي... إيه يا أخويا اللي طير عقلك؟ احكي لي يا حبيبي.

ـ ده تدريب يا جاهلة، تدررررريب... افهمي بقى.

ـ بتتدرب إزاي تدش دماغك ؟؟

ـ واحدة واحدة كده عشان تفهمي... مش النور كل شوية بيقطع؟

ـ أيوه بيقطع.

ـ يبقي لازم الواحد يدرّب نفسه يمشي في الضلمة.

ـ يعني بدل ما تجيب كشاف والا دستة شمع تتدرب ع العمى ؟؟؟

ـ أيوه.

ـ أيوه ؟؟؟ وإن شاء الله لو اتزنقنا في قرشين ح تنزل تتدرب ع الشحاتة ؟! ولو التلاجة باظت ح تتدرب تشتغل ديب فريزر ؟!.

ـ بطلي بقى، هو إنتي إيه ماسورة ضاربة ؟... ح تفهمي إزاي وفيه بينا فرق ثقافات ؟؟

أيقظ حوارنا الهادئ الموضوعي رامي من نومه، فخرج من غرفته يستطلع الأمر، ووجدت أنه من المناسب في تلك اللحظات أن أمارس سلطاتي الأبوية بصفتي رب الأسرة، فنظرتُ إليه نظرة هادئة آمرة بان يعود لغرفته وينام... أعقبها رد وقح من نرجس:

ـ خش يا حبيبي نام.. مفيش حاجة.. ده بس بابا إتجنن شوية.. بس ح نعالجه.

قضى ذلك الحادث على كل فرصة للتدريب داخل المنزل، وأصبح الحيز الوحيد المتاح لي هو التدريب على سلم البيت نزولاً وصعودًا مغمض العينين دون استعمال الأسانسير. وحين قرّرت زيادة الجرعة بتكرار الصعود إلى الدور الأخير والهبوط إلى الشارع ومضاعفة التدريب؛ جاءتني مصيبة من حيث لا أحتسب...

يومها كنت قد أوصيت نرجس أن تعدَّ لنا عشاءَ مفتخرًا : حمام محشي وكفتة... وقبل العشاء لاحظت بوادر انفجار مكتوم على وجه نرجس لا أدري له سببًا، فقررت اتقاءَ للشر أن أنسحب إلى غرفة المعيشة محاولاً تجاهلها تمامًا وأنا أضرب أخماسًا في أسداس... وما أن لاحظتْ تجاهلي التام، حتى جاءتني كطلقة المدفع الطائش:

- إنت إيه حكايتك بالظبط ؟؟

- حكايتي ؟؟ حكاية إيه يا نرجس ؟؟

- يعني إنت مش عايز تتكلم ؟؟؟

- أتكلم أقول إيه وأنا مش عارف إنتي بتتكلمي عن إيه أصلاً ؟

- إنت مالك ومال مدام فيفي اللي في التالت ؟؟؟

- فيفي مين ؟؟

- إنت ح تستعبط ؟؟

جاء سؤالها بردًا وسلامًا على قلبي.. فهي إحدى اللحظات النادرة التي أعشقها؛ حين أتهم باتهام ظالم، وأكون مظلومًا عن حق...

هاتي يا نرجس اتهامك واستعدي للاعتذار لزوجك الوفي ، ودعي ضميرك يعذبك على سوء ظنك بزوجك المخلص...

ـ فيفي إيه وزفت إيه دي كمان ؟؟ وإيه الحكاية بالظبط ؟؟

ـ فيفي اللي حضرتك ما بترضاش تركب الأسانسير ونازل طالع فوق قدام شقتها مستنيها تخرج، واللي بتقف قدام بابها تسمع صوت خطوتها... واللي النهاردة رمت لي كلمه زي السم (تقلدها): هو ماله الأستاذ بتاعك ؟ نازل طالع ، أنا بصيت م العين السحرية لقيته هو... تقدر بقى حضرتك تفهمني الموضوع ؟؟

ـ دي ست خليعة ومش محترمة ، وهو عشان أنا ما بديهاش ريق حلو ومخلص لمراتي وحياتي الزوجية تقوم تقول عليا كده ؟؟ إخص ع الاخلاق... إخص على الجيران... إخص

ـ طب بطل يا أخويا الإخص بتاعتك دي وقول لي: حصل ده والا لأ؟

تنهدت بعمق وبحنو بالغ وضعت يدي على كتفها:

ـ ح أقولك يا نرجس... ح أقولك اللي ماكنتش عايزك تعرفيه ، بس ما باليد حيلة.

أثّرت فيها طبقة الصوت وطريقة الأداء، فبدت مخضوضة...

ـ بصي يا نرجس... أنا من كام يوم كده في الشغل جت لي أزمة ، ونَفَسي راح، وكنت ح أموت .

ـ يا لهوي.

ـ ما حبتش أقولك عشان ما أقلقكيش عليا.. الدكتور قال إني معرض لذبحة صدرية، وممنوع من الأكل الدسم، ولازم ألعب رياضة.. وإنتي عارفة، ح ألعب رياضه فين ؟؟ لا عندي وقت، ولا إحنا مشتركين في نادي... فطلب مني أطلع السلالم وأنزلها كتير عشان أأقوي عضلة القلب... وأبطل أنزل بالأسانسير.

ـ إخص عليك يا عبده... وما تقوليش ؟؟ ده إنت كل حياتي.

ـ خفت عليكي م الخضة يا نرجس.

ـ ولو مش ح أتخض عليك يا أخويا ح أتخض على مين ؟؟.. من هنا ورايح لازم تاخد بالك من صحتك... أنا ح أقوم أشيل الحمام والكفتة وأسلق لك شوية كوسة، بيقولوا كويسة للقلب... ومن هنا ورايح الخضار ني في ني.

ـ كوسة مسلوقة ؟؟ لا يا نرجس.. خلينا نبتدي من بكرة، أنا نفسي في الحمام.

ـ لأ وغلاوتك أنا اللي ح أخلي بالي منك.. ومش ح أسمح لك تهمل في صحتك، هو أنا عندي أغلى منك ؟؟ أما بقى ست فيفي دي فحسابها معاياااا.

هكذا أصبح لديّ تصريح بالتدريب على سير المكفوفين صعودًا ونزولاً على السلم بتفويض من نرجس، ولكن كان الثمن غاليًا بعد أن أصبح الأكل المسلوق هو سيد المائدة، مما اضطرني إلى تناول

أكلاتي المفضلة من الحواوشي والكباب خارج المنزل بعيدًا عن عيون نرجس... ولكن كله يهون من أجل سوسن التي أعددتُ لها العدة لأكون ف كامل لياقتي الكفيفية للقائها... (٩) جنيهات دفعتها ثمنًا للنظارة السوداء التي اشتريتها من بائع سريح بين إشارات المرور في وسط البلد ، واحتاج الأمر مشوارًا إلى المنطقة الواقعة خلف محكمة عابدين حيث سوق الأجهزة التعويضية لشراء عصا بيضاء من تلك التي يستعملها المكفوفون.

انتهت استعداداتي ، ولم يتبق أمامي سوى الاختبار النهائي قبل الدخول إلى المعمعة : اختبار العرض العام ومواجهة الواقع اليومي للمكفوفين... كان عليّ أن أختبر تدريباتي في الشارع؛ مسرح الحياة، وأمام الجمهور...

ساعدني الحظ أن أجد مكانًا للسيارة بجوار محطة مترو الأنفاق... وفي مدخل أحد المنازل انزويت لفرد العصا البيضاء ووضع النظارة السوداء وانطلقت لأواجه الجمهور... وليس هناك جمهور أفضل من جمهور مترو الأنفاق، حيث الحياة الحقيقية بكل أطيافها...

متهملاً توجهت إلى سلم المحطة ، وحين حاولت السير مغمض العينين تيقنتُ أن النهاية ستكون على بعد أمتار، فما أسهل الانكفاء في الشارع، ووقتها سأكون كفيفًا بحق... لذا تذكرتُ أن العديد من المكفوفين؛ أو أغلبهم؛ لا يغلقون عيونهم.. لذا قررتُ التماسًا للأمان أن أكون من هؤلاء؛ صاحب النظرة المستقيمة التي لا تنحرف يمينًا

ويسارًا... توجهت بتؤدة لشباك التذاكر، ساعدني بعض الطيبين على تجاوز بوابة التذاكر إلى المحطة... وما أن جاء المترو حتى صعدت بهدوء إلى إحدى العربات، تلقفتني أيادي الطيبين، وأجلسني أحدهم مكانه وسط دعوات متبادلة بيننا:

- ربنا ينور بصيرتك يا بابا.

- روح يا شيخ ربنا يكفيك شر المرض.

عرفت الآن أن حفظ الدعوات وترديدها جزء مهم من الحالة حين دعت لي إحدى السيدات:

- روح يا بني ربنا ينورهم لك.

- ويديكي الصحة يا حاجة.

دقائق وأصبح المترو كما يقولون "على بعضه" اصطدم كتفي بمئات من الأجساد؛ رجال، نساء، أطفال.. إلخ.. وكادت الشهامة تفضحني حين نسيتُ نفسي ودعوت سيده للجلوس مكاني فالتفت إليّ الركاب بدهشة تداركتها سريعًا:

- أنا أصلي سامع صوت حضرتك من ساعة ما ركبتي

- لأ حضرتك خليك قاعد ما يصحش.. ربنا ينور هم لك

وحين أقبل المترو على محطة دار السلام كان بالفعل أشبه بعلبة السردين. وفي قلب هذا الزحام الذي يصبح فيه شلل العضلات أمراً حتمياً، كانت اللياقة البدنية في أوجها.. حالة تحرش أمامي وحالة نشل بجوار كتفي... ووسط حالة الأمان الكامل التي عاشها النشال

بعد أن لمح عصاي البيضاء ، أكمل عمله بمهارة في نشل محفظة أحد الركاب، ولسوء حظه في اللحظة الأخيرة التي كاد أن ينهي فيها عمله الفني المتقن وهو يدسّ المحفظة داخل قميصه ؛ انطلقت الصرخة التقليدية :

ـ المحفظة يا ولاد الكلب.

ـ هو ده.

خرجت مني الكلمة دون أدنى تفكير... وانطلقت الأيادي ترحِّب باللص الذي كاد أن يختنق من الزحام والتلطيش العفوي... وفجأة وفي محاولة البحث عن مخرج؛ صرخ اللص:

ـ ده هو اللي حرامي وعامل فيها كفيف.

هنا بدأت نظريات المنطق والمعقول تعبث بعقول ليس لها أية خبرات بالمنطق، اتجهت كل الأنظار إليّ، وانهالت الأسئلة المصحوبة برذاذ من الأفواه:

ـ لا صحيح.. هو مش حضرتك كفيف ؟؟

ـ أيوه صحيح وإنت شفته إزاي وإنت ما بتشوفش ؟؟

ـ إنت اللي لازم تتفتش.

وتطوعت سيدة:

ـ أيوووه... اظهر وبان.. أنا حسيت بيك مش كويس وأنا معدية من جنبك.

وهكذا أصبح هناك متهمان: أنا واللص، ولم يكن هناك سوى مخرج واحد خاصةً أن المترو اقترب من المحطة والفضيحة ستكون بجلاجل بعد أن هدد الجميع بتسليمنا أنا واللص إلى الشرطة باعتبارنا شركاء في جريمة النشل... وهنا كان لابد من التصرف السريع ، فخلعت نظارتي بأداء مسرحي وبدأت واحدًا من أهم أدواري في هذه المرحلة المصيرية :

- أيوه يا جماعة أنا مش كفيف.. والحرامي ده شايل المحفظة في عب القميص بتاعه.. أنا شفته بعيني

سرعان ما امتدت الأيادي إلى قميص اللص تستخرج المحفظة ، وسرعان أيضًا ما عادوا إلى الانتباه لي :

- هو حضرتك مباحث ؟؟
- لأ أنا مش مباحث.
- ولمّا إنت مش مباحث عامل كفيف ليه ؟؟... موضة ؟؟
- يا جماعة أنا عبد الستار أحمد الممثل، وده اسمي في البطاقة أهو، وبتمرن علي دور جديد
- مظبوط، بس دي مش مكتوب فيها ممثل.

ردت سيدة :

- أيوه أيوه أنا عارفاك، مش إنت اللي كنت بتطلع في ليالي الحلمية؟
- أيوه يا حاجة... أنا اللي كنت ببقى على القهوة بلعب دومنة مع المعلم السماحي.

ـ أيوه يا اخويا فاكراك، وبالأمارة كنت في الفيلم اللي اسمه إيه ده اللي كنت فيه عامل شقة، أستغفر الله العظيم.

مالت إحدى الراكبات على أخرى هامسة:

ـ هي بتقول كان بيعمل إيه يا اختي؟؟

ـ بتقول كان فاتح بيته للي أستغفر الله العظيم... رجالة عرّة بعيد عنك.

ـ أنا عرفته من ساعة ما عديت جنبه ولقيته مصدَّر لي كتفه... إخص على الأشكال الوسخة، إخص.

لحظات وانتشرت إشاعة الاخص بين الركاب، ولم يكن هناك بد من الهروب في أقرب محطة قبل أن يتم تسليمي إلى الشرطة بتهمة التحرش الجماعي...

ولكن مهما كان الثمن، كله يهون من أجلك يا سوسن

قبل أن أكمل لكم أحداث اليوم العصيب ، يجب أن أنوِّه أن السخرية والتهكم التي تقرأون بها مذكراتي تصيبني في صميم كبريائي... صحيح الفلتانين كتر، ولكنني ولا فخر، واحدٌ ممن ينحني لهم تاريخ الفلتان... ومش كل فلاتي يتقال له يا فلاتي، ومش كل فلاتي يتقال له يا عبد الستار. وإذا كنت ممن يبتغي الفلتان طريقًا فنصيحتي الأولى لك هي "الإخلاص"، كن مخلصًا لفلتانك.. لا تبخل بالجهد والمال والصبر... عليك بالدراسة، وأن تدرس بضمير وذمة.

ومن باب الضمير، كان يجب أن أدرس شخصية سوسن جيدًا قبل أن أقدم على الخطوة الأولى.. بجمع المعلومات الأساسية ومتابعة حساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي... طوال شهر كامل تبين الآتي:

سهيرة ليالي زي حالاتي... تعشق المنجة.. بتموت في الحيوانات؛ وخصوصًا الكلاب كبيرة الحجم، عندها كلبة تبحث لها عن عريس.. مرهفة الأحاسيس - هي مش الكلبة - متحررة مع بعض التحفظ... موسيقاها المفضلة سيمفونيات بيتهوفن، ولما تحب تهيَس تسمع سعد الصغير: العنب العنب، العنب... تصدِّق في قراءة الكف وتفسير الأحلام.

هكذا انقضى الشهر، واكتملت الدراسة...

واستعنا على الشقا بالله

(٤/٢)

إستراتيجيات الخطة

ـ شكلك راحت عليك وعامل لي فيها ٣٠ بطل في بعض.

ـ أنا بأخطط يا غبي.

ـ بتخطط... شكلك ح تقلب حمار مخطط... ما قولت لك سوسن شديدة عليك.

ـ الحمار اللي زيك يقول كده... بكرة تشوف وتتعلم من أستاذك.. عبد الستار ما بيفشلش. الطلعة دي كبيرة عليك عشان تفهمها.

ـ طب قول لي بس ناوي تدخل لها إزاي ؟

ـ لا مش ح أقول... ح تعرف في الآخر.

ـ طب بأقولك إيه : شوف لك حجة مع نرجس عشان سونة عازمانا النهاردة.

ـ لا النهاردة بالذات مش ح ينفع.

ـ (بدهشة) مش ح تروح لسونة ؟؟؟ شكل نرجس ممشياك عدل.

ـ نرجس إيه وبتاع إيه، النهاردة فيه فيلم مهم جدًا في التليفزيون.

ـ فيلم ؟؟؟ لا لا ده إنت اتهبلت ع الآخر.

لم يكن محمود يدري أهمية هذا الفيلم بالنسبة لي... ما أن علمت بأنه سيعرض تلك الليلة حتى أعددت العدة كاملة: كراسة للملاحظات ، قلم جاف أزرق للتفاصيل ، قلم جاف أحمر للتحذيرات، ومرآة صغيرة وزجاجة بيرة مشبرة... وقبل بداية الفيلم بربع ساعة ؛ كنت أحمل أدواتي تحت إبطي متوجهًا إلى غرفة المعيشة للمشاهدة.. والتي للأسف كانت مشغولة برامي ونرجس يشاهدان أحد برامج المسابقات... ما الحل ؟؟

- رامي... إنت إيه اللي مسهرك لحد دلوقت الساعة بقت ١١.. على أوضتك.

لم تشفع توسلات أمه ولا نظرات استعطافه ، فالأبوة الحقيقية تستوجب بعض الشدة أحيانًا للحفاظ على مصلحة الصغار... فغادر الحجرة مطاطئ الرأس، وتربعت أنا على الكنبة مخفيًا أدواتي خلف ظهري ومستمراً في أداء رب الأسرة الحازم، سألت نرجس بجفاء:

- وده إيه بقى يا ست هانم اللي بتتفرجي عليه ده ؟
- هههه حلوة قوي ست هانم دي طالعة من بقك زي السكر، ابقى قولها كتير... ده بقى يا سيدي برنامج مسابقة الرقص ، التصفية النهائية، ودلوقت...

قاطعتها بحزم

- رقص ؟؟؟.. مسابقة رقص ؟؟ تفاهة وسطحية... هاتي الريموت نشوف حاجة محترمة... ناوليني الهباب الريموت.

قذفت لي الريموت بغل... ولحسن الحظ كان الفيلم في بداية التترات التي تغني فيها نجاة "كل شيء راح وانقضى".. فيلم "الشموع السوداء"...

وهنا انطلقت صرخة نرجس:

ـ الشموع السودا ؟؟؟ ح نتفرج على فيلم الشموع السودا ؟

ـ أيوه ،،، إيه... مالك ؟ فيلم محترم وهادف وكله عبر.

ـ عبر ؟؟؟؟؟ ده أنت اللي بقى فيك كل العبر... وده ح نتفرج عليه إن شاء الله بمناسبة إيه ؟؟؟ إن النور بيقطع ؟؟؟؟؟

ـ نور إيه وهبل إيه... ده بطولة الكابتن صالح سليم.

ـ (وهي تصرخ) يعني إيه المناسبه يعني ؟؟ الاهلي خد الدوري ؟؟

ـ أقولك فيلم تقولي لي دوري.. بطلي صوات واسمعي الست نجاة، يمكن ودانك تنضف.

ـ وداني أنا اللي عايزة تنضف والا مخك اللي عايز فومين... أهي بتقولك أهي "كل شيء راح وانقضى"... يا بختي الاسود، يا ليلتي السودا.. وشموعك السودا... حتى اليوم اللي ح تقعد فيه تتفرج معايا، تطفحني النكد المر ؟.. هو أنا مرارتي اتفقعت من شوية ؟

ـ (أجبتها ببرود) طب بس استهدي بالله كده وقومي قطعي لنا بطيخة، خلي الواحد يستمخمخ.

وانصرفت تولول وتبرطم:

- إستمخمخ يا اخويا إستمخمخ... والنبي انت فيه مسمار في نافوخك وقع ومش لقياه...يا خسارتك ياعبستار... وعايز كمان بطيخة... والنبي كان عاقل.. والنبي كان عقله يوزن بلد.. متجوزاه عاقل.

يا سادة للضرورة أحكام.. ومن أحكام الضرورة أن أتغاضى تمامًا ونهائيًا عن برطمة نرجس حتى أستطيع التركيز وتدوين كافة الملاحظات الخاصة بأداء الأستاذ صالح سليم في دور الشاب الكفيف أحمد.

- ملاحظة ١ : الكفيف مفتح العينين وينظر في اتجاه واحد ولا يحرِّك عينيه يمينًا أو يسارًا.
- ملاحظة ٢ : ملامحة جادة وغاضبة وشكله دايمًا قرفان أو ح يرجع أو ح يخرَّم عينين اللي قدامه.
- ملاحظة ٣ : مبرق دائمًا وفي كل الأحوال وصوته عالي.

واستدعى الأمر تجربة الأداء أمام المرآة الصغيرة التي أحضرتها من تسريحة نرجس لأتمرن أثناء الفيلم على حركة العينين والوجه وأطابقها مع أداء الأستاذ صالح سليم... أخفضت صوت التليفزيون قليلاً لأتمرن أيضًا على نبرة الصوت وبدأت أردِّد جُمل الحوار:

ـ كل الستات خاينين، كلهم، كلهم... روي، روي، إنت فين يا روي؟ حتى روي مصدقني وعارف إني بتكلم صح... روي. .روي... روي... يارووووي

هنا دخلت نرجس بصنية البطيخ وصواتها اللي جاب أخر الدنيا:

ـ يا خرررااااااااابي... يا لهوي.. بتكلم نفسك في المراية ؟

لم يعد الأمر محتملاً فقررت استعادة هيبتي كرب الأسرة :

ـ اخرسي.. بأكلِّم نفسي ده إيه ؟؟؟ هي حصلَّت ؟؟

ـ أنا اللي أخرس ؟؟؟؟ آه يا خويا.. أنا اللي اتجننت.

ـ أيوه اتجننتي... يعني إيه بأكلم نفسي في المراية ؟

ـ آه يا اخويا ، أنا اللي فهمت غلط. تلاقيك قلت وإنت بتتسلى وبتتفرج؛ تلقِّط حواجبك بالمرة.. لا، ده إنت مايتسكتش عليك... والنبي كنت متجوازه عاقل: والنبي كان عقله يوزن بلد.

بعدها علمتُ أن حوارًا تليفونيَا دار بين نرجس وصديقتها عواطف زوجة محمود:

ـ مش قادرة أصدَّق يا نرجس اللي بتقوليه ده... معقولة ؟

ـ والنبي يا اختي زي ما بأقولك كده.. دخلت عليه لقيته بيلعب حواجبه في المراية وعمّال يقول: روي، إنت فين يا روي... بينده يا اختي على الكلب اللي في الفيلم.

ـ يمكن أعصابه تعبانة من الشغل أو عنده مشاكل مكبوتة؟

ـ مكبوتة ؟؟ أنا اللي مكبوتة وح أموت منفجرة وعمري بيتقصف...

وكل ده كوم ويوم ما لقيته ماشي في الشقة مغمض وبيخبط في العفش كوم تاني، قال إيه بيتدرب على المشي في الشقة لما النور يقطع... ومن كام يوم بأمد إيدي تحت المخدة ألاقيلك كتاب طه حسين... أنا بأفكر أوديه دار رعاية المكفوفين وأخلص.

- والنبي ما أنا عارفة أقولك إيه؟ عبد الستار طول عمره عاقل وسيد العاقلين.. على أي حال لما يرجع محمود ح أكلمه ونشوف حل.

كان هذا هو نص الحوار الذي جرى بين عواطف ونرجس حرفياً ونقله لي محمود...

- إيه بقى يا معلم ؟؟ طبعًا أنا هارش إن الموضوع له دخل بسوسن، بس مش فاهم إيه العبط ده كله ؟؟

- ولا عمرك ح تفهم... إنت تيجي النهاردة توصلني لمقر الجمعية بتاعتها.

- أوصلك ؟؟ ليه بقى سواقك الخصوصي إن شاء الله.

- تفتكر يا بجم.. إزاي ح أروح لها سايق وأنا عامل نفسي كفيف ؟

- كفيف ؟؟؟؟؟؟

- أيوه كفيف... إتعلم بقى.

- كفيف إزاي يعني ؟؟

- مش قلت لك قبل كده اتعلم من الأستاذ... أديني ح أديك درس عمرك... الساعة خمسة تعدي عليا عشان توصلني.

(٤/٣)

وجهًا لوجه

عقدت الدهشة لسان محمود ، وتدلى لسانه ، مما أشعرني بالفخر الشديد من انبهاره بتكتيكات الأستاذ ؛ المعلم الكبير الذي يجلس بجواره الآن بالبدلة الأنيقة والنظارة السوداء والعصا البيضاء...

ـ يخرب بيتك عقلك ، ده أنا ما عرفتكش.. إيه المنظر ده ، ده إنت كفيف من ضهر كفيف.

ـ سوق وإنت ساكت.

ـ أوامرك يا أستذة... بس أنا مش فاهم الفيلم ده ح يوصلك فين ؟

ـ إطلع ع الجمعية ومش عايز أسمع صوتك.

توقفت السيارة أمام فيلا الجمعية ، وطلبتُ من محمود أن ينادي على البوّاب...

ـ ما تنادي عليه إنت ، ما هو ناحيتك.

ـ يا بجم ، المفروض إن أنا مش شايفه... أهي دي التفاصيل اللي تودي في داهية... ركز واتعلم.

ـ حاضر يا سيدي، بس ما تتنططش علينا قوي كده. (ينادي): يا حاج

ـ أيوه يا بيه.

توليتُ أنا الحديث :

ـ من فضلك، الدكتورة سوسن موجودة ؟

ـ أيوه يا سعادة الباشا.

ـ طب من فضلك وصلني مكتبها... اتفضل إنت يا أسطى محمود ولما أعوزك ح أتصل بيك.

مصدومًا انصرف محمود وهو يبرطم... بينما تناول البواب يدي حتى مكتب السكرتيرة... وبعدها بلحظات كنت وجهًا لوجه أمام الفرس الشارد والنمرة المتوحشة سوسن.

ذابت أناملها في يدي من ليونتها وهي تسلِّم عليّ، أجلستني بيدين كالقطيفة تضع إحداهما على كتفي والأخرى في كفي، ولم تجلس على المكتب، بل جلست على الكرسي الموجود أمامي...

ـ أهلاً وسهلاً بحضرتك.

ـ اسمحي لي قبل ما نتعرف، أنا جاي على استحياء شديد أسلِّم الشيك ده، وهو برقم أنا عارف إنه منتهى التواضع مبلغ ٥٠٠ جنيه.. وده الحقيقة لا هو مقام حضرتك ولا مقام الجمعية، وأرجوكي ما ترفضيهوش واعتبريه تبرع رمزي من إنسان بيحاول يقدِّم أي حاجة، أي حاجة، عشان يساهم في الرسالة النبيلة اللي حضرتك بتقومي بيها في الجمعية.

ـ لا يافندم العفو.. وبالعكس ده مبلغ مش متواضع خالص ، إحنا في احتياج لأي مبلغ ، وكل قرش إضافي أكيد ح يساهم في نشاطنا ويساعدنا.

ـ تحياتي لتواضعك يا هانم ، كلامك ده شجعني إننا دلوقت نتعرف... أنا اسمي عبد الستار أحمد ، تحديت العجز واتخرجت من كلية الآداب قسم علم نفس.. وطبعًا زي ما حضرتك شايفة وأنا شايف : أنا كفيف.

ـ بالعكس ، ما شاء الله ، أنا شايفة شاب وسيم ، أنيق ، وشكله ناجح ، وخلي بالك أنا مش بعاكسك هههههههه أنا بأقول اللي أنا شايفاه.

ـ هههههههه ده بس من لطفك ، أنا ما أعرفش شكلي عامل إزاي ، حتى شعري ؛ الشغالة هي اللي بتسرحهولي.. والحقيقة أنا سمعت عن الجمعية وعايز أساعد بأى حاجة.

ـ ده إحساس لطيف جدًا من حضرتك بيؤكد إنك شخصية محترمة.

ـ بصي يا دكتورة ، أنا دراستي ممكن تسمح لي أساعد زملائي المكفوفين نفسياَ في حاجات كتير... الناس فاكرة إن الكفيف مشكلته بس إنه ما بيشوفش ، الكفيف عنده نفس مشاكل الناس العادية ، بالإضافة لمشكلة كف البصر... وكمان المشاكل النفسية اللي بسبب كف البصر... ناس كتير بتحاول تساعد وتحب تساعد، لكن ما يعرفوش إن أصعب إحساس بالنسبة للكفيف هو إحساس الشفقة.

ـ فعلاً معاك حق.. كلام علمي جدًا.. بس قول لي حضرتك فقدت البصر إزاي ؟؟؟ م الولادة ؟؟

ـ لأ.. أنا ما بأولدش حضرتك.

ـ هاهاهاها... لا مش قصدي.

ـ أنا فاهم قصدك أنا بس بحب أضحك.. أنا اتولدت طفل عادي وعشت لحد سن ١٧ سنه عادي، لحد ما حصلت لنا حادثة عربية أنا وأبويا وأمي.. هما توفوا وأنا خرجت منها كفيف.. الدكاترة قالوا إن الاصطدام والصدمة العصبية هي اللي خلتني كفيف.

ـ يااااه.. أنا آسفة جدًا.

ـ لا أبدًا دي حكاية بقالها عمر.

ـ بس بيقولوا الحالات دي ليها علاج.

ـ أنا حاولت كتير طبعًا ، وبعض الخبرا قالوا لي ان البصر ممكن يرجع فجأة زي ما راح فجأة... أنا اتحديت الإحساس بالعجز وقررت إنه مش ح يكسرني... وقررت أساعد كمان اللي زيِّ... عشان كده أنا جيت.

ـ أهلا بيك يا أستاذ عبد الستار... أنا في منتهى السعادة لمبادرتك دي... ويا ترى حضرتك عايش إزاي ؟؟ بتعمل إيه ؟؟

ـ أنا مش متجوز، لكن الحمد لله سعيد، عايش لوحدي في شقة في وسط البلد ، وعامل جزء منها مكتب للاستشارات النفسية وخصوصًا للمكفوفين... ولإني ما فقدتش بصري من الطفولة ح

تلاقيني حضرتك كفيف زي بتوع السينما اللي شفتهم وأنا مفتح: الأستاذ صالح سليم في "الشموع السوداء".. سعاد حسني في فيلم "موعد في البرج"... وعندي كمان كلب اسمه "روي".

ـ (بفرحة) إيه ده عندك كلب ؟؟

ـ أيوه كلب وولف بلاك جاك.

ـ أنا كمان عندي كلبة اسمها جميلة.

ـ وولف برضه ؟

ـ أيوه، وبأدور لها على عريس.

ـ لا بقى كده أنا أغير من روي، بقى هو يخش دنيا وأنا لا، هاهاها

ـ هاهاها، إحنا لازم نعرفهم على بعض.

ـ أكيد إن شاء الله، روي هو صاحبي الوحيد، مع شوية إسطوانات مزيكا وأفلام كلاسيك وشوية كتب.

ـ بتحب المزيكا ؟؟

ـ جدًا ، بس أنا بقى تلاقيني حاجة ملخبطة كده : بيتهوفن على موزار على أبو الليف.

ـ لا لا ده إحنا ح نبقى أصحاب.

ـ ما أقدرش يا دكتورة أحلم بده.

ـ ليه بتقول كده ؟

ـ أنا عايش في عالم وحيد وبأخاف أبقى تقيل على حد.

ـ لا حضرتك متقولش كده.

ـ طول ما بتقولي لي "حضرتك" يبقى مش ح نبقى أصحاب.

ـ أنا ما أقدرش أرفع الكلفة كده من أول مقابلة.

ـ يبقى على وعد.. المقابلة الجاية تقولي لي يا عبد الستار.

ـ وأنا "سو"... أصحابي بيقولولي يا "سو".

ـ حضرتك استني المقابلة الجاية، أما أنا بقى فمن النهاردة ح أقولك يا "سو" ورزقي على الله.

ـ هاهاها إنت لطيف جدًا... بأقولك إيه يا عبده...

ـ عبده مرة واحدة... ده إنتي اختصرتي ٣ مقابلات .

ـ أيوه... بص بقى... نهاية الأسبوع يوم الخميس اللي جاي تجيني عشان أعرّفك على المجموعه هنا وتديهم شويه نصايح نفيسة... أما أنا بقى فتفضِّي لي نفسك يوم الجمعة نتقابل في النادي عشان نعرّف جميلة على روي.

ـ ماشي.. الجمعة الجاية.. بس بعد كده أنا اللي ح أحدِّد الزمان والمكان.. مش عشان يعني كفيف ح تسيطري عليا.

ـ ماشي يا عبده هاهاها.

(٤/٤)

بعد نهاية اللقاء التاريخي كان لا بد من عقد اجتماع طارئ وغرفة عمليات فورًا...

ـ م الآخر كده يا محمود.. إحنا محتاجين نأجر شقة مفروشة في وسط البلد فورًا.

ـ محتاجين ؟؟ ليه ح تنطردوا من شقتكم ؟؟ هي مش تمليك والا إنت بعتها ؟

ـ ننطرد إيه.. ما تفتح مخك شوية.. دلوقت أنا فهمت سوسن إني عايش في شقة في وسط البلد ، وكمان باشتغل فيها استشارات نفسية زي ما حكيت لك. وأكيد بتطور الأحداث ح تيجي تزورني. فلازم يبقي فيه شقة في وسط البلد .

ـ طب وإيه بقى حكاية : إحنا، ومحتاجين، وصيغة الجمع دي ؟

ـ ما أنا قلت إنه برضه آن الأوان إننا نتستر بدل ما إحنا بنتشحطط لما يبقى عندنا مواعيد من إياها ، إشي لوكاندات ، وعربيات ، وساعات سفر أقاليم... وبعدين من يوم ما اتصلبنا أنا وإنت ٦ ساعات في البلكونة بالفانلات وأنا متعقد أروح لواحدة بيتها.

ـ ما تفكرنيش، أحسن ده كان يوم منيل بنيلة.

- عشان كده بقول إنها فرصة ، وآن أوان الستر... شقة تلمنا وتلم بلاوينا يا محمود... ولا من شاف ولا من دري.
- ودي ح نجيبها منين ؟؟؟
- اللي يسأل ما يتوهش ، وقدامنا ييجي أسبوعين على ما أقدر آخد الخطوة دي معاها وأعزمها تزورني في البيت.

بعد يومين من انفضاض هذا الاجتماع الطارئ توصل محمود إلى شقة صغيره في شارع ميريت بالقرب من ميدان التحرير ؛ حجرة نوم وصالة ، إيجارها الشهري ٢٠٠٠ جنيه ، وبعد مفاوضات مع السمسار استطاع تخفيضهم إلى ١٥٠٠ جنيه... وكان لابد من عمل اكتتاب...

- بص يا عبده.. إنت اللي مزنوق في الشقة ، يبقى إنت اللي تدفع الإيجار ، أنا مش دافع.
- ده إنت عيل بقى ؟؟ مش إحنا متفقين ع المشروع ده سوا ؟
- لا.. الموضوع ده إنت اللي مزنوق فيه لوحدك عشان تحل مشكلة سوسن... أنا حالياَ مش مضطر أدخل في الموضوع ده.
- طب فكر فيها يا محمود قبل ما تتسرع وتقول كلام أهبل : أولاً ، الشقة دي فرصة وموقعها استراتيجي... ثانياَ ، إحنا بنعط كتير ، وإنت ملطوط قبل كده.. تخيل بقى لو عواطف قفشتك ومعاك واحدة في العربية ، والا قاعدين في حتة... والا حصلت لك مصيبة

مع واحدة في أوتيل... والا واحدة جوزها طب عليك في بيتها... كل ده ما يسواش ٧٥٠ جنيه في الشهر ؟؟؟

ـ يسوى يا عم، بس ٧٥٠ جنيه كتير، وعواطف قاعدة على المصروف في السقطة واللقطة .

ـ خلاص قول كده وهات م الآخر... شوف يوسف صاحبنا يشترك معانا... ولو لقيت واحد رابع يبقى بالكتير كل واحد ح يدفع له ٤٠٠ جنيه ؛ دي أقل من أكله في مطعم لو حبيت تعزم واحدة ع العشا... وأهو كل واحد يبقى له أسبوع في الشهر يبرطع فيه زي ما هو عايز... وأدينا مستورين بدل البهدلة وقلة القيمة.

هكذا أكرمنا الله بشقة الخيانة الزوجية ، وتمّ الاتفاق بيننا نحن الأربعة : أنا ومحمود ويوسف وسعيد... وكانت المشكلة الوحيدة المتبقية قبل اتمام العقد هو رفض الثلاثة أن يكون العقد باسم أحدهم خشية اكتشاف أي من زوجاتهم ذلك... وهنا جاء دور الكبير ليتحمل المسئولية والمخاطرة ، قبلتها عن طيب خاطر لأعطيهم درسًا في الإقدام والشجاعة... اعتراضي الوحيد كان على إطلاقهم لقب "شقة الخيانة الزوجية" وكان اعتراضي شديد الموضوعية ، فنحن جميعًا متزوجون ولدينا أسر ونستطيع أن نقول بمنتهى الصدق والثقة إننا نقدِّس الحياة الزوجية.. نعم نقدِّس الحياة الزوجية ، بل ونحترمها ونوقرها أيضًا... وموضوع الشقة المفروشة هو خير دليل على ذلك ، وهل هناك أخطر من انفضاح

أمرنا تهديدًا للحياة الزوجية ؟؟ أليست السترة خلف باب مغلق صيانة لمشاعر زوجاتنا من أن تنجرح... واحسبها حضرتك جيدًا، أيهما أهون: أن تعيش زوجتك وهي تنعم بالسلام والأمان بعيدًا عن نزواتك ؟ أم أن تفاجئ بك ذات يوم متلبسًا مع غيرها في سيارة أو مقبوضًا عليك في قضية آداب في بيت مشبوه ؟... إنها الاستهانة بمشاعرها وصحتها، فهي من الممكن أن تروح فيها وتجيلها سكتة قلبية ويعيش أطفالك بلا أم... وهي صيانة لمستقبلها ومستقبل أولادها فهي أيضًا من الممكن لو ضبتطك أن تقتلك وتروح في داهية وتتسجن وعيالك يتشردوا... تقبل عيالك يعيشوا في بيت عمهم والا خالهم ؟؟ تقبل عيالك يسرحوا بمناديل في الشوارع ويشموا كولة ؟؟... ثم ماذا حتى لو كانت زوجتك سيدة عاقلة ولم تقتلك ولم تمت من الصدمة... تقبل عيالك يعرفوا إنك منحرف ومنحل ؟؟؟ أي قدوة ستكون لهم ؟؟ وأي أجيال ستضيع بسبب ذلك ؟؟...

لذلك من العار أن نطلق على هذه الشقة النبيلة ذات الغرض النبيل الطاهر لقب "شقة الخيانة الزوجية" بل هي بالدليل القاطع والبرهان الساطع "شقة حماية الحياة الزوجية"... ولكن لصعوبة تداول هذا الاسم قرّرت أن أطلق عليها لقب "ماما" القلب الحنون الذي يحتوي ويستر ويحمي... وتأكيدًا لطهارتها ونبل عطائها استطعت أن أقنع زملائي في الـ"ماما" أن يدفع كل منا ٢٠٠ جنيه

ونعمل عيش ولحمة للغلابة تبركًا لـ"ماما" وسائلين المولى عز وجل الستر وأن يكفينا شر الفضيحة، وعشان ربنا يبارك لنا فيها؛ استنادًا لسُنَّة الشيخ كركر بتاع الحشيش اللي في الجيارة ، الذي كلما فتح الله عليه من تجارته قام بذبح عجل للغلابة حتى لا تضيع البركة... هكذا كان القرار الأول في الاجتماع الأول بعد الطارئ على القهوة المجاورة للشقة

- أنا : الـ ٢٠٠ جنيه بتوعي أهم.
- محمود : ودول الـ ٦٠٠ بتوعنا
- سعيد : أيوه بس دلوقت إحنا ح نطلع العيش واللحمة دول إزاي وإحنا لا بنعرف نطبخ ولا نهبب.
- يوسف : أنا عندي اقتراح : ال ٢٠٠ جنيه يجيبوا حوالي ٥ كيلو لحمة م الجمعية ، أنا بأقول كل واحد فينا يجيب لحمته يديها لمراته تطبخها وتفرّقها على الغلابة ونخلص... وأهو برضه مراتتنا ينوبهم ثواب.
- أنا : عين العقل ، وعشان كده أنا واثق إن شاء الله ربنا مش معقول يفضحنا معاهم وهما اللي مطلعين الحاجة بإيديهم لله.
- محمود : دي عواطف ح تفرح قوي.. وكمان الموضوع ده ح يدينا ثقة عندهم ، ويبقى ضربنا عصفورين بحجر واحد ... وربنا يدينا على قد نيتنا.

صرخنا جميعًا فيه:

ـ لأ... كله إلا نيتنا، الله يخرب بيتك.. نيتنا إيه ؟.. لا والنبي يارب..
والنبي يارب ده واد أهبل ما تاخدش على كلامه... قال نيتنا قال.

هكذا انتهى الاجتماع الأول بعد الطارئ، استقر فيه الأمر على هذا القرار ، وتم وضع جدول للحضور لكافة الشركاء بحيث يعلم كل شخص جيدًا مواعيد حضوره مع التأكيد على أنه لا يجوز عمل نسخة من المفتاح ويظل مفتاح واحد يتيم نتبادله بيننا، حرصًا على عدم حدوث أي لخبطة نتيجة السهو أو الخطأ أو العمد أو الطفاسة... واتفقنا على تنفيذ قرار توزيع اللحمة على الفقراء جلبًا للبركة يوم الجمعة بعد الصلاة.. لهذا اضطررت أولاً أن أمر على الجمعية ظهر الخميس وأعود باللحمة لنرجس لتقوم بتحضيرها.. ورغم كل النوايا الطيبة لعمل الخير التي لديّ، إلا انني لم أسلم من تنغيصات نرجس:

ـ مش فاهماك ومش فاهمة حاجة .

ـ مش فاهمة إيه بس يا نرجس يا حبيبتي... شوية لحمة وعيش ح نفرقهم لله على الغلابة بكرة بعد الصلاة.. إيه الغريب في كده؟

ـ الغريب إنك عمرك ما عملتها... وحتى صلاة الجمعة بتبقى نايم زي الفيل وعمرك ما صحيت تصليها... إيه بقى اللي هز ضميرك قوي كده على الغلابة ، وعيش ولحمة والتقوى بتبظ من عينيك وإنت مالكش في المشوار ده خالص.

هنا كان لابد من استدعاء موسيقي تصويرية حزينة ومؤثرة في ذهني حتى أستطيع أن أكمل الحوار ، وأن أكسب معها جولة لصالحي:

- إيه يا نرجس ؟؟ هو إنتي فاكرة أني ما عنديش أي روحانيات ؟؟ ما ياما ناس بتصلي وتصوم وتركع وقلبها إسود... وياما ناس الدنيا لاهياها عن الصلاة ونيتها مع ربنا وهو اللي مطلِّع على القلوب... هي صلة العبد بربه بالشكل برضه يا نرجس ؟

لانت قليلاً بعد أن رسمتُ على ملامحي مظاهر التأثر والإحساس بالظلم:

- يووه بقى، خلاص، مش قصدي يا عبده.. هو أنا يعني أكره الخير والا اكره لما أشوف ربنا هاديك وبتعمل ثواب. أنا بس استعجبت إنها من غير مناسبة.

ارتفعت في رأسي الموسيقي التصويرية الحزينة وانحسرت في ناي ينوح حتى أستطيع أن ألمس أعمق أوتار قلبها وأشعِرها بالذنب:

- بتسألي عن المناسبة ؟؟ أقولك المناسبة ؟.. المناسبة إنتي يا نرجس.
- يالهوووي.. بتفرّق على روحي عيش ولحمة وأنا عايشة على وش الدنيا يا عبد الستار ؟
- بعد الشر عليكي يا نرجس إنشالله أنا بدالك ولا أعيش وأشوف اليوم الإسود ده... الحكاية وما فيها إن أمي الله يرحمها زارتني إمبارح في المنام وقالت لي: يا واد يا عبده، نرجس يا واد يا عبده..

نرجس شقيانة معاك يا واد.. نرجس هي الضليلة اللي محاجية عليك وعلى عيالك.

ـ (بدهشة) حماتي الله يرحمها قالت لك عليا ضليلة ؟؟... سبحان الله دي لا كانت بتطيقني ولا تطيق سيرتي.

ـ ما هي شرحت لي وفهمتني ان اللي كانت بتعمله فيكي ده مش من كرهها فيكي بعد الشر ولا حاجة، دي كانت بتعمل كده من غيرتها عليا عشان أنا كنت ابنها الكبير والدلوعة بتاعتها، بس عرفتْ مقامك ووصتني عليكي.

ـ قالت لك كل ده؟ هي جات لك في الحلم والا جات لك الشغل؟!

ـ إنتي بتهزري يا نرجس ؟.. ده كان حلم طويل... وقبل ما تمشي قالت لي: يا واد يا عبده لازم تطلَّع حاجة لله يا واد.. أكِّل الغلابة عشان ربنا يسترها عليكوا ويديم نرجس عليك نعمة.. نرجس دي ربنا راضي عنها، وعشان البركة تحل خليها هي اللي توزع اللحمة بإيديها على الغلابة، وتوصِّي كل واحد ياخد منها إنه يدعيلكوا بالستر... ما تنساش... الستر يا عبده.

ـ حاضر... الله يرحمك يا حماتي .

ـ إوعي يا نرجس ما يدعوش بالستر.

ـ الستر يا حبيبي، حاضر يا عبده.

ـ وبكرة عايزك تصحيني بدري قبل الصلاة... عاوز أخد جولة كده على أولياء الله الصالحين.

ـ خلاص ح أصحيك.. ربنا يهديك ويرزقك.. وناخد رامي معانا ونروح سوا.

ـ لأ.. سوا إيه ؟؟ أنا عايز أخدها خلوة كده مع نفسي.. عايز أتطهر من جوايا.. كلام أمي هزني قوي يا نرجس... وبعدين إنتي عندك مهمة اللحمة... والدعوة بالستر يا نرجس الله لا يسيئك.

هكذا انتهت مهمتي الشاقة مع نرجس وصرفت من أذني صوت الناي الحزين واستدعيتُ صوت الست أم كلثوم "ح أقابله بكرة"، فالغد هو الجمعة موعد لقائي مع سوسن في النادي.. لقاء خارج حدود المكتب والجمعية... من الغد سيبدأ اللعب الكبير والشغل اللي على أصوله...

طارت بي الفرحة ، ثم سقطتُ على جذور رقبتي حين تذكرت المصيبة الكبري ، المصيبة التي غابت عن بالي ولم استعد لها طوال أسبوع... نهار اسود ومنيل...

ـ إنت فين يا محمود ؟

ـ وأنا أعمل لك إيه في المصيبة دي دلوقت ؟؟؟

ـ لازم تشوف لي حل يا محمود.. أخوك ح يلبس في الحيط.. لازم تشوف لي كلب وولف واسمه روي.

ـ وأنا أجيبهولك منين ده ؟.. هو إنت شايفني بأسرح بكلاب ؟.. وكمان اسمه روي.

ـ لازم يا محمود، دبّرني.

ـ منين دلوقت ؟ كل محلات الكلاب زمانها قفلت.

ـ ما هو لو مفيش كلب يبقى كل التكتيكات باظت، وشقى أخوك الشهرين اللي فاتوا يضيع كله في الأرض... ده أول ميعاد بيننا، هي ح تجيب كلبتها معاها وأنا مفروض أجيب الكلب بتاعي معايا، اللي اسمه روي.

ـ يعني إنت تورط نفسك التوريطة السودة دي وعايزني أناأأحلها ؟ أحلها إزاي ؟؟... أقولك على فكرة...

ـ قول.

ـ إحنا ممكن نعدِّي على أي غفير من اللي بيحرسوا العمارات الجديدة اللي بتتبني ونستلقط من واحد فيهم كلب بلدي وخلاص... وتسمِّيه روي تسمِّيه هباب أزرق مش ح تفرق معاه.

ـ ودي فكرة دي ؟؟ إنت بتستعبط ؟؟ أقولك كلب وولف واسمه روي تقولي كلب بلدي؟

ـ ما هو الغرور اللي عاميك ده مش مخليك قادر تفكر ولا متخيل إن فيه حد أذكى منك... المفروض يا بني آدم إنك كفيف... وبما إنك كفيف يبقوا ضحكوا عليك واستعموك وباعوا لك كلب بلدي على إنه وولف... وساعتها مش بس ح تبقي ضحية ؛ ده إنت كمان ح تصعب عليها أكتر م الأول.

ـ رغم إني متأكد إنك غبي، بس لازم أعترف إنها فكرة حلوة... بس

يا محمود أنا ح يبقى شكلي عرّة قوي وأنا لابس ومتشيك وماسك كلب بلدي وواقف قدَّام نادي أرستقراطي زي ده... ده أنا شكلي ح يبقي مسخرة قدام اللي رايح واللي جاي.

ـ ما هو ده المطلوب... ساعتها بقى الصوعبانية عندها ح تزيد، وابني أفلام على كده وعيش... المهم بس إننا نلاقي الكلب الأول وبعدين نشتري له طوق شيك... ولعلمك بقى كلاب الشوارع دول فيهم ميزة؛ لا ليهم اسم ولا يحزنون، ولمَّا تقول له روي ح يهاودك ومش ح يتقمص منك... بالإضافة بقى إن كلب الشارع بيسأل ربنا في حق النشوق، ولو شاف رغيف حوواوشي قدامه ح يغمى عليه م الفرحة ويعمل لك عجين الفلاحة، ومش بعيد يقولك يا ماما... سمي إنت بس وقول يا مسهل نلاقي الغفير اللي عنده الكلب.

ـ يا مسهل.

لم تكن فكرة سيئة.. صحيح الإحساس بالإهانة سيكون في أعلى درجاته، ولكن بالفعل يمكن استغلاله أفضل استغلال في التأثير على مشاعر سوسن... ولكن ستكون هناك أكثر من مشكلة، أولها أن هذا الكلب تربية الشوارع والأرصفة وبالتأكيد سيحتاج حمامًا محترمًا بالشامبو حتى يبدو وكأنه بالفعل كلب بيوت، بالإضافة إلى البراغيت التي حتمًا ستكون مبرطعة في جتته... ثانيًا كلاب الشوارع معروفة بالنفور والعدوانية، وتحقيق الألفة معها سيتطلب بعض

الوقت وهو ترفٌ لا أملكه وليس أمامي سوى بضع ساعات لأبني معه صداقة ملحوظة للكل... على أية حال هذه المشاكل مؤجلة لحين العثور على رفيقي الجديد ابن الكلب.

وبعد لف ودوران ودوخة، لم نجد في حينا مباني جديدة أو أراضي يحرسها غفراء.. فاقترح محمود أن ننطلق إلى مدينة ٦ أكتوبر حيث أعمال الانشاء هناك على أشدها وبالتالي سيكون لدينا سعة في الاختيار... وبعد طول بحث، وفقنا الله إلى غفير لديه كتيبة كبيرة من الكلاب... وبعد مفاوضات وأخذ ورد وافق أن يبيعنا شمشمون بـ ٥٠ جنيه... لم يكن اعتراضي على المبلغ قدر اعتراضي على الاسم، فأنا أريد كلب بدون اسم... ولكنه أقنعني بفطرته الريفية أن الكلب أصلاً بهيمة لا اسم لها: هو حضرتك فاكر يعني إنه شايل "بوطاقة رقم كومي" واسمه فيها شمشون؟ والا يعني ح يعمل محضر إنك بتناديه باسم تاني.. توكل على الله يا "أوستاذ".. ده كلب بلدي مأصل ومش ح تلاقي أخوه.. حأقوم أجيبهولك.

وحين أهلَّ علينا شمشون مربوطًا بحبل غسيل كان مظهره يصعب على الكافر وكأنه عائد لتوه من مهمة في الصومال.. آثار المجاعة والجروح القديمة على جسده تدل على أنه يصارع مع الحياة صراع البؤساء من أجل البقاء... كان الوقت يجري، ورفاهية الاختيار لا أملكها، لذلك قبلت بشمشون على مضض - وحط تحت مضض دي ديشليون خط -

استغرق الأمر ساعة كاملة حتى سمح لي بالاقتراب منه بعد أن جررت رجله بقطعة خبز ناشفة ناولني إياها صاحبه لتكون رشوة التعارف الأول ، وتوجهنا بالسيارة إلى محل الحواوشي لأقدِّم له رشوة الصداقة الأبدية... تركني بعدها محمود مطمئنًا بعد مرورنا على محل بيع مستلزمات الكلاب واشترينا له طوق وسلسلة.. وبعد رغيف الحواوشي الثاني تدلت رموش عينيه وهو ينظر لي وكأنه يدعي لي في سره "روح يا شيخ إلهي ما يجوّع لك بطن ولا يعرِّي لك جتة"، هكذا استنتجت، فهمست له: "ادعي لي بالستر يا روي".

وبدأت أشعر بالاطمئنان وأنا في طريق العودة حتى صدمتني صاعقة أخرى... يا نهار إسود... هو أنا ح أعمل إيه بالكلب ده لحد الصبح ؟؟..فعمارتنا ليس بها بواب ، ومن المستحيل إعادته لصاحبه في ٦ أكتوبر واستعادته في الصباح ، فأين سأذهب به... هناك حلان لا ثالث لهما : إمّا أنا اذهب به إلى شقة وسط البلد ؛ وهو أمر شديد الصعوبة والخطورة أيضًا فهذا الأسبوع مخصّص ليوسف حسب الجدول ، وبفرض ان الشقة خالية فليس معي مفتاح ، وحتى لو استطعت الحصول على المفتاح من سعيد لا يمكن أن أترك كلب بلدي في شقة مفروشة طوال الليل بمفرده ولا أستطيع البيات معه دون عذر قوي لنرجس، وهو أمر مستبعد... لذلك كان الحل الثاني المتاح هو الحل المر... إلى بيتنا حيث نرجس...

حقيقي إن نرجس دي والله لها الجنة من اللي بتشوفه واللي شايفاه معايا... بس ح نعمل إيه للضرورة أحكام... هوِّنها يارب.

طوال الطريق سمح لي شمشون بأن أربت على رأسه، زام في البداية وهو يأكل، ولكن ما امتلأت معدته حتى أصبح كالقطة السيامي، وانتشى قليلاً فقرّر إخراج رأسه من الشباك يتأمل المارة.. فكرّتُ أن أنصحه بإدخال رأسه أو غلق الزجاج تفاديًا لسخرية المارة وأصحاب السيارات، ولكنني لم أشأ ان أجرح كبرياءه... الطوق الجديد أضفى عليه بعض الوقار فلم يعد كلب شارع متشردًا، بل أصبح كلب شارع محترمًا... بعدها بدقائق أصابتني نوبة هرش فتأكدت أنه بحاجة إلى حمام سريع وإلا الفضيحة ستكون بجلاجل.

زالت بعض مخاوفي وشكوكي تجاه روي، ولكن تظل الطامة الكبرى في مواجهة نرجس... اعتدتُ ألا أفكِّر مسبقًا في الأعذار، أثق دائمًا أن عقلي سينقذني في اللحظة المناسبة، ولكن هذه اللحظة ليست كغيرها من لحظات، إنها مواجهة لا سابق لها، بل ربما تكون أصعب بكثير من مواجهة الخيانة ذاتها... شمشون ونرجس... استرها على عبيدك يارب.

حين وصلت إلى باب الشقة وأنا منهمك بمحاولة قياده شمشون بسلسلته غير المعتاد عليها، امتدَّت يدي بعفوية إلى جرس الباب... وبعد أن أفقتُ من هول الصدمة التي ارتكبتها، كانت نرجس تفتح الباب... وكان اللقاء العاصف...

ـ يالهووووووي.. يا مااااااما... يا لهووووووي

هي تصرخ والكلب يهوهو... وصلة صِويت من نرجس ووصلة نباح شراني من شمشون وأنا بكل ما أوتيت من قوة أجذب طوقه بعيدًا عن نرجس الملتصقة بالحائط حتى لا يقرمها وتصبح مصيبة... استطاعت ان تقاوم الفزع وانطلقت كالجاموسة الشاردة إلى غرفة النوم ، وشمشون يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يلحق بها ، وأنا بكل ما أوتيت من قوة أجذبه بعيدًا عنها... حتى تمكنت أخيرَا من الوصول إلى باب غرفة النوم وغلقه خلفها ، وإن كان صراخها لم ينقطع ، وصراخي على شمشون أيضًا لم ينقطع في محاولة لفرض شخصيتي عليه:

ـ بس يا "روي" قلت لك بس... خلاص يا نرجس ماتخافيش... بس ياروي.. بأقولك بس.

زام الحقير في وجهي بغباوة فشعرت بقوة شخصيته وقلة أصله... ضاعت أرغفة الحوواوشي هباء وعادت إليه ذاكرة كلاب السكك اللي بتهوهو على اللي رايح واللي جاي... موقف صعب وضعني في اختيارات أصعب.. فأنا أمام خيارين كلاهما مُرّ : إما أنا أفقد صداقته للأبد وأطلق سراحه ، وإمّا أن أفقد مراتي... فكرت طويلاً.. وبما أن مراتي الآن في أمان خلف الباب المغلق فلا داعي لأن أفقد صداقة "روي" شمشون سابقًا ، الذي سيكون ساعدي الأيمن في حكاية سوسن... لذا حاولت تهدئته وسحبته على المطبخ وناولته

من الثلاجة ربع الفرخة الذي كان في الغالب مخصصًا لعشائي.. وبعد أن التهمه بنهم، رفع عينيه شاكرًا مما سمح لي بإصطحابه إلى الحمام وغلق الباب عليه... ثم توجهت إلى نرجس لمواجهة ما لا يستطيع مواجهته إنسان ولا خطر على قلب بشر...

بأطراف أصابعي طرقت الباب المغلق ، فأجابتني من الداخل بصراخها.

ـ اهدي يا نرجس يا حبيبتي.. خلاص مفيش حاجة.

ـ أنا عايزة ابني.. هاتلي ابني م الأوضة التانية ،، هات لي ابني دلوقت.. أنا عايزة ابني.

ـ عايزاه ليه بس دلوقت يا نرجس ؟؟ عشان تفزعيه ؟؟ الولد نايم يا نرجس.. افتحي يا حبيبتي، إفتحي بس.. أنا لوحدي يانرجس.. الكلب خلاص مشي. حقك عليا يا حبيبتي، حقك عليا، أنا غلطان. خلاص مفيش كلب.

فتحت الباب وهي تبكي بكاءَ حارًا يقطع القلب وهي تنهال عليا باللوكميات على وجهي وفي صدري... ضرباتها الموجعة أصابتني بالألم.. فكرتُ أن أناولها لكمة خطافية أسفل الذقن أكومها على الأرض ، ولكن محبتها طغت على قلبي فاكتفيتُ بتكتيف يديها خلف ظهرها والقائها بتطويحة على السرير ، الأمر الذي أشعل غضبها الفائر:

ـ وكمان بتكتفني ؟... أنا مش قاعدة لك في البيت خلاص... إنت اتجننت خلاااص... يا إتجننت يا إتهطلت.. وأنا ما أقدرش أستنى لما ابني يكبر ويعرف إن أبوه أهطل.

دلدلتُ رأسي بأسى:

ـ كده برضه يا نرجس ؟ كده برضه ؟؟ هو أنا عملت إيه ؟؟ أجرمت عشان جبت كلب ؟

ـ كلب ؟؟ هو ده كلب ؟ جايب لي كلب شوارع جربان وتقول لي كلب ؟

ـ آه كلب.. ماله ؟؟ اظهري بقى على حقيقتك.. أيوه بقى.. قولي بقى إن الموضوع طبقية وعجرفة.

ـ ألطم على وشي ؟ طبقية ؟... حاضر يا عبد الستار.. ح ألطم... إنت عايزني ألطم والناس تقول عليا مجنونة.

ـ لا مش عايزك تلطمي.. عايز أناقشك بموضوعية... كل مشكلتك إنه كلب بلدي.. إنما بقى لو كان كلب لولو كنا ح نحترمه وندلعه. لازم تهدي وتفكري بموضوعية عشان أشرح لك الحكاية كلها.

لم أكن أدري أي حكاية سأحكيها وأي أسباب سأشرحها.. ولكن ربنا كبير وإن شاء الله يرزقنا بكلام معقول.. أو أي كلام حتى...

ـ اتفضل اشرح .

ـ حاضر، بس لازم تهدي الأول.

ـ اتفضل أديني هادية أهو.

ـ لا مش هادية يا نرجس، مش هادية.. ومفيش حوار موضوعي بنّاء ممكن يتم في حالة الغضب والنرفزة.

ـ إنت عايز تجنني.. عارف لو ما اتكلمتش ح أصوت وألم عليك الدنيا... انطق يا عبد الستار.

ـ بصي يا ستي... أولاً في حاجة لازم تحطيها حلقة في ودانك، فكرة إني أسمح لـ"روي" إنه يعضك أو يأذيكي؛ هو أو أي كلب غيره؛ ده من رابع المستحيلات.

ـ روي ؟؟؟ الجربوع ده مسميه "روي" ؟

ـ شفتي؟ شفتي؟ مش بأقولك الموضوع طبقية ؟.. مش كفاية حياته البائسة اللي عاشها، والظلم اللي عانى منه، كمان مستخسرة فيه اسم، مجرد اسم.. لمجرد أنه كلب شوارع... ما ياما ناس اسمهم أمير وهو شحات.. من امتى الأسامي هي اللي بتقيَم البني آدمين أو حتى الكلاب.

ـ أنا خُلقي ضيق وشايلة المرارة... انطق من غير لف ولا دوران.

ـ بصي يا ستي... الحكاية وما فيها، وأنا راجع من الشغل خبطتُه بالعربية وهو بيعدِّي الشارع، صعب عليا نزلت وجبت له أكل وقلت أكرمه لحد ما رجله اللي بيعرج عليها تخف.

ـ البلدوزر ده خبطاه عربية ؟؟ وحتى لو... جبت له أكل وخلصنا، إنما بقى إيه لزومه تجيب لنا كلب سعران البيت والا الست أمك

جت لك في المنام وقالت لك اتبناه ؟

ـ بتسخري من ماما الله يرحمها يا نرجس ؟ هي في دار الحق وإحنا في دار الباطل دلوقت، وربنا يسامحك.

ـ ما تغيرش الموضوع عشان توقعني في الغلط.

ـ كل اللي حصل إني بعد ما أكلته لقيته كلب جدع وذكي وقلت جالنا ببلاش وممكن نستفيد منه ككلب حراسة ، وأهو يعمل بلقمته، ويلعب مع رامي.

ـ إنت خلاص ما بقتش طبيعي وما يتسكتش عليك... يا تشوف لك حل وتعالج نفسك ، يا إما ح أسيب لك البيت وأمشي أنا... ماأقدرش أنا وابني نعيش في الخُلل بتاعك ده.

ـ إيه يا نرجس ما خلاص ، ما تكبريش المسألة بقى.. اعتبري الموضوع خلص يا ستي وخلاص الواحد يبطل يعمل ثواب ما دام الثواب ح يزعلك ، وبكرة الصبح ح أخلصك منه وكأن مفيش حاجة حصلت، ولا كأنك شفتيه قبل كده.

ـ بكرة ؟؟ يعني هو لسه في البيت ؟؟

ـ بأقولك بكرة الصبح الدنيا ماطارتش.. إيه، أسيبه يعني في انصاص الليالي ينزل الشارع لوحده.

ـ لا يا حبيبي.. خده وانزل احجز له في أوتيل ٥ نجوم.

ـ ده إنتي بتتريقي بقى.. أرجوكي يا نرجس، الموضوع أكبر من كده.. أنا إديته كلمة... أرجوكي ما تصغرنيش قدّامه.

ـ يالهوووووي.. الراجل اتجنن خلاص.

ـ يا لهوك بقى مش يا لهووك أنا مش على أخر الزمن ح أطلع صغير قدَّام كلب شارع ومش ح أسمح أبدًا أنه يبص لي بصة كده والا يفتكر إني مش راجل في بيتي.

ـ طب اخرج من قدامي واقفل الباب وراك ، مش عايزة أشوف وشك... إطلع برررررة.

هكذا تركت نرجس تبرطم ما شاء لها البرطمة ، فهناك مهمة شاقة يجب أنهاؤها سريعًا ، وهي حمام شمشون الذي لابد منه... وكان يتحتم على ان استعد.. عدت مرة أخرى إلى غرفة النوم حيث بركان نرجس الثائر.. طرقت الباب ، ففتحت مفزوعة :

ـ إيه عايز إيه ؟

ـ إيه يا نرجس مالك ؟؟ إجمدي شوية ، أعصابك بايظة ليه ؟

ـ عايز إيه ؟

ـ عايز المايوه م الدولاب.

ـ المايوه ؟؟؟؟؟؟؟؟

ـ أيوه المايوه.. فيها حاجة ؟

لطمت من جديد وولولت كالعادة ، ولكن كل ذلك لا يهم ، فأنا أعلم أن حمام شمشون سيكون حربًا ضروس لإقناع كلب شارع أن يأخذ لأول مرة في حياته "شاور" ، وبالتأكيد سأبتل معه ، وهنا تأتي

أهمية المايوه، فليس من المستساغ أن أظهر أمام كلب شارع ذكر بدون هدوم أو بملابس داخلية مبتلة، ولا أدري إلى أين يذهب خياله المريض فيظن ظن السوء... وهو أمر لا أقبله على كرامتي... لذا فلتبرطم نرجس أو تلطم على وجهها، ولكن كرامتي لا رهان عليها...

ودَّعتها بعد شرح مقتضب، وخرجت أحمل في يدي المايوه...

ـ مش عايز أنزِّل لك العوامة من فوق الصندرة ؟؟

ـ مش ح أرد عليكي، بس بكرة تعرفي إن كل ده عشان خاطر الأسرة.

ـ أسرة ؟؟؟ واخد المايوه وداخل للكلب تستحموا سوا عشان الأسرة؟ والا داخل تصطاد لنا سمك م البلاعة نتغدا بيه... يا ميت وكسة ع الأسرة ورب الأسرة... والنبي كنت متجوزاه عاااقل... والنبي كان عقله يوزن بلد... اقفل الباب وراااااك.

بعد دخولي الحمام اكتشفت أن الأمر يستدعي الخروج مرة أخرى، فما أن بدأت في خلع ملابسي لأرتدي المايوه حتى فوجئت بنظرة شمشون المنزعجة التي أصابتني بالتوتر... كنت أبحث عن كبريائي أمامه كرجل بارتداء المايوه.. فكيف أتجرّد أمامه من ملابسي تمامًا قبل ارتدائه.. ماذا سيظن بي في هذه اللحظة؟... وحين تراجع قليلاً خلف قاعدة التواليت أدركت أنه فهمني غلط، فتراجعت أنا أيضًا وأسرعت برفع بنطلوني وخرجت إلى الصالة متواريًا خلف النيش لأرتدي المايوه... ثم هرولت عائدًا إلى الحمام وأغلقت الباب علينا.

خبيرٌ أنا بسيكولوجيات البشر ، وهي خاصية من أهم خصائص الفلاتي... ولكن يجب أن أعترف أن علاقتي بالحيوانات في منتهى السطحية ، لكن بعض البديهة قد يصلح الأمر... بالتأكيد نظرة شمشون لي عارياً تملؤها الدهشة ، ولكن حتى يعتاد على الأمر ؛ جذبتُ جورنالاً من فوق الغسالة وجلست على حافة البانيو وكأنني أقرأ وأنا أناديه باسمه وأكرِّر الاسم حتى يعتاد عليه:

- تعالى يا روي... عارف يا روي... تصدَّق يا روي... خدت بالك يا روي... فاكر يا روي... ها يا وري...

هكذا ظللت ألقنه اسم روي حتى ظننت أنه قد ينطق به أمامي ، ثم بدأت في ملء البانيو بالمياه الدافئة ، أعلم أن الكلاب تعشق الماء ، وتأكدت من ذلك حين اقترب روي بفضول يتابع الماء المنهال من الحنفية... حين حاولت حمله إلى البانيو زام في وجهي زومة اقشعر لها بدني ؛ خاصةً أنني شبه عارٍ أمامه ، وهو الأمر الذي يعني أن لديه مساحة مستعرضة من اللحم يستطيع أن يقرمني حيث يشاء... أدركت أن موضوع البانيو سيكون مشكلة... حللت الأمر بأن بدأت أدعك له رأسه بشامبو النخاع بتاع نرجس حيث كان الأقرب ليدي... سيتسبب الأمر في معركة جديدة في الصباح... ولكن الصباح رباح.

ساعتان من العمل المتواصل أنهيت فيهما مهمتي الشاقة... جففتُ جسدي وارتديت ملابس نظيفة وتوجهت إلى الصالة لأنام على

الكنبة كما هو معتاد في أحوال براكين وزلازل نرجس، خاصةً وأنا متأكد تمام التأكد أنها ما زالت مستيقظة تحفزاً لإكمال الخناقة.

أنهكني التعب... فسقطت كالقتيل على الكنبة لساعات معدودة... استيقظتُ بعدها على صوت منبه الموبايل يعلن السابعة صباحًا قبل استيقاظ نرجس ورامي، مما يتيح لي الاستعداد لموعد سوسن والانصراف مصطحباَ روي... ارتديت ملابسي وأنا أترنح كالمخمور من التعب، وتذكرت النظارة السوداء.. ثم تسللنا بهدوء إلى الخارج أنا والكلب.

(٥/٤)

لقاء الجبابرة شمشون وجميلة

اليوم يبدأ التاريخ الحقيقي في علاقتي بسوسن... كل اللي فات كوم والنهارده كوم تاني... اليوم هو بدء الحصاد لرحلة الشقاء والإخلاص التي لم أتوانَ فيها - كفلاتي عُقر - عن بذل كل الجهد والتفاني للوصول إليها... اليوم أنطلق أنا و "روي" إلى النادي للقاء سوسن وجميلة... مظهره بجواري "مستحمي" ومرتدي الطوق الجديد أشعرني بقليل من الثقة التي لم تدم طويلاً، حتى تنبهت على حدث هام... لم يكن إختفاء البراغيت من جسد روي إنتصارًا لمهاراتي في الحمام ، بل لأن أغلبها قد انتقل إلى هدومي ، فبدأت أتلوى وأنا أقود السيارة وأمد يدي داخل القميص في محاولة للوصول إلى منتصف ظهري لأهرشه بقوة... نتج عن ذلك انحرافات في عجلة القيادة ووصلات من السباب اللا متناهي من قائدي السيارات المجاورة أنهته سيدة وقورة تقود سيارتها الفاخرة:

ـ كلب جربان وسواق جربان ؟؟؟ جتكوا القرف مليتوا البلد.

اضطررت أن أرفع زجاج السيارة لأمنع روي من أن يخرج رأسه من الشباك، فكفاني "تهزيء" من كل من حولي.

كان الاتفاق بيني وبين سوسن أن تنتظرني بجوار الباب الرئيسي للنادي ثم تصحبني معها للداخل ؛ لأنني لست عضواً هناك... وتعمدتُ بالطبع أن أصل مبكرًا عنها حتى أستطيع أن أركن سيارتي في مكان قريب ثم أتوجه لانتظارها... ونبهت على نفسي مرارًا وتكرارًا بتجاهلها حين تقترب ، حيث أنه من المفروض أن الكفيف سينتظر الصوت وليس الصورة...

وبجوار الباب الرئيسي سحبتُ روي بهدوء ، وتحت شجرة كبيرة وقفنا ننتظر على بعد أمتار من أفراد أمن البوابة االذين يفحصون كارنيهات العضوية للسيارات الداخلة إلى النادي... توقفت إحدى السيارات أمام المدخل، ودار حوار قصير بين راكبتها وبين فرد الأمن، انتقلت بعده النظرات من السيدة ومن فرد الأمن نحوي، ثم أقبل في اتجاهي وأنا أحاول أن أقتنص بالعصا البيضاء برغوتًا يلعب في ظهري وأنا أتلوى كالقرد...

ـ يا حضرة ؟

ـ حضرتك بتكلمني أنا ؟؟

استفسرت لأني من المفروض كفيف

ـ أيوه بأكلمك... الهانم باعتة لك دول.. ومعلش ممكن تتفضل عشان ممنوع الوقوف هنا.

دسّ في يدي ورقة ب ٢٠ جنيه

ـ إيه ده يا حضرة ؟

ـ إيه دول ؟؟ عشين جنيه ما تبقاش طماع... عشين جنيه ع الصبح من غير لا شغلة ولا مشغلة.. إتكل بقى الله يسهلك.

أصابني الذعر والدهشة بالشلل والخرس... يا نهار إسود... شحات.. شكلي شحات... وأنا اللي فاكر نفسي متقمع وجاي أقابل وأظبط... شحاااات ؟؟؟ يا نهار إسووووود:

ـ إيه ده ؟؟؟ إيه اللي حضرتك بتقوله ده ؟؟ أنا ما أسمحلكش.

ـ ما خلاص بقى إتكل على الرصيف التاني وخلّص.

ـ يا حضرة ده تجاوز غير مقبول.

ـ يا للا يا عم.. اسحب البوبي بتاعك ده ومش عاوزين "عوء" ع الصبح.. ياللا من هنا.

بدأ يزق

ـ ما تمدش إيدك أحسن أوديك في داهية.

ما أن بدأ الزق حتى أصاب روي الذعر المعتاد ككلب شارع يحزر دائمًا من التعدي اليومي للبشر عليه ، فأخذ يجر نفسه بالسلسلة ليختبئ تحت أقرب سيارة.

ـ بص بص ، أهو صاحبك عارف اللي ح يحصل لكم ومش عايز يتبهدل.. ياللا يا عم من هنا أنا مش عايز لأمد إيدي على كفيف.

ـ إفهم يا بني آدم.. أنا شخصية محترمة وليها حيثية ومنتظر الدكتورة سوسن هنا، عندي معاها ميعاد.

ـ الدكتورة سوسن عبد الفتاح ؟؟

ـ أيوه بأقولك في ميعاد معاها.

ـ طب ماشي ماشي خليك بقى على جنب شوية ولما تيجي ح اندهلك... يعني إنت مش شحات ؟

ـ عيب الكلام ده ما يصحش

ـ طاب هات العشين جنيه.

ناولته إياها وأنا مندهش من أنني ظللت محتفظًا بها في يدي ولم ألقها في وجهه من البداية...

لا أخفي عليكم... أفقدني هذا الموقف كل الثقة في نفسي... ألهذه الدرجة مظهري بالكلب يبدو كمتسول ؟؟.. وما الحل الآن ؟؟ هل أتخلص من روي بعد كل هذا المجهود وكل هذه المصاريف ؟؟ هل أدعي لسوسن بأي مبرر لعدم إحضاري الكلب حتى أدبِّر كلبًا محترمًا يضيف لي بعض الوقار والكبرياء ؟؟... "الله يخرب بيتك يا محمود ويخرب بيت شورتك المهببة"... الظاهر مفيش حل تاني... الوداع يا روي وحلال عليك الطوق وطقم الحواووشي وشامبو نرجس اللي ح اتبهدل عشانه لما أروّح.. نعم، لا مفر من هذا القرار وكان يجب إتخاذه.

بسرعة قبل أن تصل سوسن في أي لحظة.. حاولت جرّه من أسفل السيارة، فخرج بعد مجهود وهو يتلفت يمينًا ويسارًا ليتأكد أن فرد

الأمن قد انصرف... نظرتُ إليه نظرة كلها احتقار وشفقة وغضب، ومددت يدي إلى السلسلة لأفكها من عنقه:

ـ روح ياشمشون شوف رزقك في حتة تانية وحلال عليك الطوق يا عم.. إنت برضه تعبت معايا ومش ح استخسره فيك.

نظر إلي بدهشة وحيرة، وعاد إلى أسفل السيارة مرة أخرى

هنا كان فرد الأمن يناديني وسيارة سوسن واقفة أمام باب النادي:

ـ يا أخينا... تعالى كلِّم الدكتورة

سرت أتلمس الطريق بعصاي لإتقان الدور، لحظتها فتحت سوسن باب السيارة وخرجت مسرعة نحوي لمساعدتي:

ـ أنا آسفة اتأخرت عليك يا عبده، والله آسفة.

ـ لا أبدًا أنا اللي بأحب أجي قبل الميعاد.

ـ طب تعالى تعالى.

فتحت لي باب السيارة إلى جوارها، وفي الخلف كانت تقبع كلبتها جميلة في هدوء تحاول شمشمتي عن بُعد...

ـ دي بقى يا سيدي جميلة... الله أومال فين روي ؟

ـ معلش أنا بأعتذر لجميلة والله.. من إمبارح وهو عمال يتقمع عشان ميعادها النهاردة، دخلت أخد دش الصبح هو كمان صمم ياخد دش، والظاهر أخد نوبة برد وفضل يعطس خفت أجيبه يعدي جميلة.

ـ يووه بقى.. بس كويس إنك مجبتوش عشان يرتاح، وكمان الكلاب أصلها بتعدي بعضها.. وعايز الحق، أنا بأخاف على جميلة موت.. ها، تحب تقعد فين ؟

ـ أي مكان هادي.

ـ خلاص نحط جميلة في جنينة الكلاب ونقعد إحنا في الجولف.

استعدتُ بعض هدوئي ، وبدأت أستكنيص في جلستي بجوارها ، وعندما انحرف نظري إلى المرآة الجانبية ؛ أدركتُ أنني مقبل على مصيبة سودة...

كان شمشون يطارد السيارة وهو ينبح، وفرد الأمن يجري وراءه... هي من المرات القلائل التي تمنيت فيها أن تصيبني سكتة قلبية أو جلطة في المخ... خاصة وأن السيارة تسير متمهلة ، وكلها لحظات وستكون الفضيحة بجلاجل... يا مغيث أغثني...

وزاد الطين بلة أنه حين اقترب شمشون؛ أخرجت جميلة رأسها من الشباك وبدأت هي الأخرى تنبح نباحًا فيه ميوعة بدون داع... وتغيرت نبرة شمشون في النباح ، حتى أنني أستطيع أن أؤكد أنه كان يقول لها بلغة الكلاب : "جايلك يا مُزة" أؤكد أنني تبينتها بوضوح...

لفت الأمر نظر سوسن، فنهرت جميلة بصوت غاضب:

ـ بس يا جميلة... إيه القرف ده كلب شارع جوه النادي ؟؟ أنا بأقرف قوي م الكلاب دي يا عبده.. فين الأمن؟.

توقفت بالسيارة، وحاول شمشون أن يتسلق الباب من ناحيتي، فأغلقتُ الزجاج.

وصل فرد الأمن وهو يلهث...

ـ إيه يا سعد القرف ده ؟؟ كلاب شوارع جوه النادي ؟؟ أمال إنتوا بتعملوا إيه على البوابات ؟؟ ده تهريج.

ـ ده كلب الأفندي اللي جنب حضرتك، كان ساحبه معاه، ولما حضرتك وصلتي سابه برة.

ـ إنت بتخرف بتقول إيه، إنت أكيد مجنون، ده لا كلبي ولا أعرفه.

ـ إيه ح تنكر دلوقت ؟ مش إنت اللي كنت واقف تشحت بيه على باب النادي ؟ حتى بالأمارة الحاجة أم الكابتن عصام بعتت لك معايا عشين جنيه.

ـ إنت قليل الأدب.

هنا تدخلت سوسن:

ـ خلاص يا سعد.. روح إنت خلاص.

نظرتُ نحوي وأنا متصلب أنظر للأمام كما تعلمت من الأستاذ صالح سليم بالإضافة إلى استدعاد روح العظيمة أمينة رزق في وصلة بكاء كالمتشحتفة:

ـ أنا لازم أعترف لك.. لازم أقولك على حجم الإهانة والاستهانة اللي أنا عايشها كإنسان كل جريمته إنه أعمى.. ليه يا ربي ؟ دي حاجة

أنا ماليش يد ولا ذنب فيها، ليه الناس بتعمل فيا كده رغم إني إنسان متحضر، إنسان كله مشاعر وأحاسيس، كل االلي حواليه بيعاملوه على إنه مغفل.. ليه يا ربي ليه ؟

ـ إنت بتعيط يا عبده ؟؟ ليه كل ده ؟ أنا مش فاهمة حاجة.

ـ يا سوسن، الكلب ده بتاعي، عاش معايا ٣ شهور من أجمل أيام حياتي.. كان ونس في وحدتي، وشريك في لقمتي.. اشتريته من واحد قريبي على إنه كلب وولف ألماني أصلي؛ ومتدرب كمان... كنت فاكر حجمه الصغير من قلة الأكل، وقلت بكرة يكبر... كنت كل أما أتمشى بيه أسمع تريقة من الناس، قلت معلش ناس ماعندهاش إحساس... لكن النهاردة، وقدام النادي، اكتشفت إنه كلب بلدي لمَّا فرد الأمن قال لي.. قريبي غشني.. اتهزأت واتهانت كرامتي وأنا واقف على باب النادي كفيف ومعاه كلب بلدي، الناس افتكروني شحات.. ماقدرتش أتحمل الصدمة، أو أتحمل سخريتك لما ح تشوفيه.. مديت إيدي ودوست على قلبي وعلى عشرتنا وقررت أفارقه عشان كرامتي ؛ عشان ماتضحكيش بسخرية وأنا بأقولك ده روي الكلب بتاعي... وافترضي حتى إنك سامحتيني وقبلتي وما ضحكتيش عليا، جميلة ح تقول عليا إيه ؟ ليه يارب خلقتني أعمى ؟؟ أنا خلاص مش عايز أعيش وسط المفتحين... ومش عايز أعيش أصلاً... أنا آسف.. أنا ح أنزل.

انهمرت دموعي وبربرت حتى أسعفتني بمنديل ورق :

ـ أرجوك يا عبده.. أرجوك.. إنت قطعت قلبي وقطعتني.. كفاية.

ـ سيبيني لمصيري يا سوسن.. أنا مش ح أقدر أغيّر العالم، ولا إنتي ح تقدري.. أنا مش قادر أعيش كفيف وسط الوحوش.. كل الناس بتستغفلني لإني ما باشوفش... قريبي باع لي كلب شارع على إنه وولف.. الشغالة بتستغفلني وتسرق هدومي وفلوسي عشان ما باشوفش.. واحد قريبي جاب لي عروسة وقال لي دي زي القمر ولما جيت أحط إيدي على وشها لقيت شنبها منبت... حتى الحكومة بتسرقني...

ـ الحكومة ؟؟

ـ أيوه... تقدري حضرتك تقولي لي أدفع ليه ٥٠٠ جنيه كهربا في الشهر وأنا كفيف وما باشغلش غير التلاجة؛ اللي شايل حتى منها اللمبة... أنا بأتخدع من كل الناس.. من كل الناس... أنا خلاص مش عايز أعيش.

ـ عشان خاطري يا عبده، لو ليا عندك خاطر.. إهدأ وتعالى بس نشرب حاجة و نتكلم بهدوء.. أنا آسفة والله آسفة.

أخيراَ استقر بنا المقام نحن الأربعة بجوار ملعب الجولف... أعترف انها حاولت تهدئتي بكل ما لديها من إمكانيات بأكبر إحساس بالذنب.

لم تكن عودة روي لي مرة أخرى تخطر على بالي تحت أي حسابات، ولا أستطيع أن أدرجها حتى تحت بند "وفاء الكلاب" والكلام الفارغ إياه، فأنا متأكد أن المسألة من وجهة نظري أنه قد شعر بالغربة في هذا الحي الأرستقراطي وأمام باب النادي بكلابه المستحمية بالبرفان، ولذلك قرّر تطبيق المثل الشعبي الشهير (اللي تعرفه أحسن من اللي ماتعرفهوش) وهو ليس لديه أحد يعرفه هنا سواي.

على أية حال، وأيًا كانت نوايا هذا الكلب الجربوع، فقد استطعت الخروج من المشكلة؛ أو هكذا بدا لي الحال.

وما أن جلسنا حتى بادرتُ باستثمار النجاح السابق، وبدأت في ذرف الدموع بهدوء وصمت ومشيحًا بوجهي بعيدًا عنها، وكأنني أهرب بضعفي وجرح كبريائي بعيدًا... مالت على مقعدها تجاهي وربتت على ركبتي ومدت يدها تمسح الدموع عن عيني... فأمسكت يدها بحنو بالغ وضعف متناهي:

- اسمحي لي يا سوسن... الإيد اللي تمسح دموعي لازم أبوسها، وتستاهل إني أبوسها.. أنا من يوم والدتي ما توفت ماحدش مسح دموعي.. وماحدش أصلاً شاف دموعي غيرك إنتي.. أنا سمحت لنفسي أكون معاكي بضعفي.. بكل ضعفي... اسمحي لي أبوسها.

رفعتُ يدها إلى شفتي دون أدنى مقاومة تذكر، وأنا - والحمد لله فضل ونعمة من عنده- أستاذ في التقبيل؛ وخاصة أنامل الأصابع...

ما أن مسّتْ شفتاي أصابعها حتى شعرتُ برعشة داخلها، تلك الرعشة التي أدركها جيدًا لطول الخبرة...

بدأت أحاديثنا وطالت، وكانت بدايتها طامة كبرى ومأزقًا جديدًا:

ـ أنا ح أطلب منك حاجة... بص يا عبده

ـ أبص إزاي ؟؟ أنا بقالي ١٥ سنة ما ببصش.. إيه عايزة تعجزيني من أولها ؟؟

انفجرت في الضحك وتغير جو الجلسة من هذه اللحظة...

وما أن هدأت ضحكاتنا حتى عادت مرة أخرى للحديث الجاد:

ـ أولاً أنا بأعذرك في كل اللي إنت حاسس بيه.. وأقدر أفهم كويس أحاسيسك ومشاعرك لمَّا اكتشفت إنك اتخدعت في روي... بس لازم ما تنساش إنه عاش معاك ٣ شهور زي ما إنت قلت على الحلوة والمُرة ، وإن إنت قلت عليه كلام جميل ، وفضل الـ ٣ شهور دول صاحبك اللي ما بيفارقكش.. لازم تفكر إن هو كمان مالهوش ذنب.. مش ذنبه إنه ماطلعش كلب وولف وربنا خلقه كلب بلدي ، مش هو اللي خدعك... وعشان كده قرارك إنك تتخلى عنه دلوقت ده قرار في منتهى القسوة ، وخصوصًا لما شفت قد إيه هو متعلق بيك ومش راض يسيبك... وعشان كده لازم روي يفضل معاك.

الله يخرب بيتك يا روي... لو أطعتها فيما تقول سيكون عليّ تدبير مأوى له خارج البيت ، وهي معضلة بلا حل.. والحل الآخر أن

أحتفظ به في البيت ، وهذا معناه طلاق مؤكد ونفقة ومؤخر ، بالإضافة للتشنيعات التي ستطلقها نرجس عليّ بأنني طلّقتها من أجل كلب... مصيبة إيه دي ؟؟... ماذا أفعل الآن، ومن وجهة نظر سوسن لا يوجد مانع من الاحتفاظ بـ روي...

على أية حال نهاودها دلوقت وبعدين نبقى نشوف لنا معاه صرفة...

- بس يا سو (استهبلت وأنا أناديها باسم الدلع مستغلاً حنان الموقف) ح أعمل إيه في التهزيء اللي بأخده وأنا ساحب كلب بلدي عِرّة كده.. إنتي تقبليها عليا ؟؟... أنا ممكن أديه لحد من الغفرا والا البوابين ياخده ويربيه، وأنا أاشوف لي كلب تاني.
- ممكن طبعًا.. بس ساعتها ح تخسر صاحب وفي أمين وثق فيك وإداك كل مشاعره وإخلاصه.
- طب وجميلة ؟؟
- مالها جميلة ؟
- مش كنا ح نجوزها روي
- لأ لأ... بيتهيألي الموضوع ده خلص خلاص.. وبلاش تجيبه معاك النادي تاني عشان ما تحسش بالإحراج.
- يعني إيه ؟؟؟ يعني اللي ما تقبليهوش على جميلة تقبليه عليا أنا.
- ما تاخدش الموضوع بشكل شخصي يا عبده.

ـ أما أخده إزاي ؟؟؟ أنا أمشي بكلب بلدي واتهزأ مش فارقة معاكي.. إنما جميلة ما تتجوزش كلب بلدي.

ـ ما تشبهش اللي بينك وبين روي باللي بينه وبين جميلة.

ـ ليه بقى إن شاء الله... ما أشبهشي ؟؟؟؟؟

ـ أيوه طبعًا.. إنت صاحبه، لكن جميلة ح تبقى مراته وأم ولاده.

ـ وطبعًا أهلها ح يعايروها عشان اتجوزت كلب بلدي ولوثت اسم العيلة المأصل ؟.. هي كلمة ، يا يتجوز جميلة يا مالوش قعاد معايا.

ـ خلاص يا عبده.. صاحبك وإنت حر فيه، إن شالله تولّع فيه بجاز.. وعلى رأيك، أي غفير ح يضمن له مستقبله.

هوووووف.. تخلصنا أخيراَ من هم روي ومن مأساة عودته معي إلى نرجس.. وبانت سوسن على حقيقتها، حنونة ومعطاءة وتدافع عن حقوق المظلومين والبسطاء والمعذبين ؛ ما لم يتعارض ذلك مع مصلحتها الشخصية ومظهرها الاجتماعي... ياللا ع البركة.

بعدها طلبنا نسكافيه نحتسيه بهدوء.. وأخذت مفصلات وتروس عقلي تعمل بجهد حتى أنجز مهمتي الأساسية التي دفعت فيها دم قلبي وعرقي وأعصابي ؛ يحب أن تكون في أحضاني قريباَ.. ولهذا تحملت ما تحملت.

ـ عايز أقولك إن من أول مقابلة معاكِي حكيت لك تقريبًا كل حاجة عن حياتي، وإنتي ماقولتيش ولا حاجة عن حياتك.

ـ لا يا عبده أبدًا ، بس ما جتش مناسبة ، ودي يا دوب تاني مرة أشوفك فيها.. بس الحقيقة لازم أعترف لك إني من أول ما قابلتك ارتحت لك قوي ، إنت شاب وسيم وطموح ومكافح ، وكمان دمك خفيف.. أنا بقى يا سيدي تقريبًا عايشة في الفيلا بتاعة الجمعية.. هي أصلاً بتاعة والدي ، اتجوزت فيها فترة وبعدين إتطلقت.. وأخيراً قررت أعمل الجمعية عشان يبقي حواليا ناس وأعيش وسطهم... ناس تقدَّر معنى البني آدم.

ـ أطلب منك طلب سخيف ؟؟

ـ أطلب

ـ بس لازم في الأول تعرفي إني من مدرسة المكفوفين بتاعة الأستاذ صالح سليم... ممكن توصفي لي نفسك عشان أكوِّن صورة في خيالي للإنسانة اللي أنا قاعد معاها ومرتاح لها بكل حواسي.

ـ (ضحكت بدلال) طب ما توصفني إنت وقولي متخيلني إزاي؟ عاوزه أعرف صورتي في خيالك شكلها إيه ؟

ـ من غير زعل ؟؟؟

ـ طبعًا من غير زعل.. وأنا إيه اللي ممكن يزعلني.

ـ يعني من مستوى الصوت وإنتي ماشية جنبي أقدر أقول إن طولك ١٦٥ سم.

ـ ١٦٤ سم.

ـ مافرقتش على السنتي ده يعني.

ـ طب كمِّل.

ـ من حركة الهوا والرياح.. ممكن أقول إن وزنك يعني في حدود ٩٥ كيلو، يزيد كيلو يخس كيلو.

ـ يا نهار إسود... من حركة الرياح ؟؟ ليه بعمل زعابيب وأنا ماشية؟ والا الهوا بيلقفك من قدامي؟... لعلمك بقى أنا وزني ٦٢ كيلو، وكمان بأعمل دايت... قال ٩٥ كيلو قال!!

ـ هاهاها معلش يا سو... خلاص بتقولي ٦٠ كيلو يبقى ٦٠ كيلو.. ح أعديها... مش بأقولك واحد قريبي جاب لي عروسة بشنب... بيستعماني هاهاها... معلش خلاص ٦٠ كيلو.

ـ (بغضب وانفعال) لا بقى معلش.. كله إلا وزني... ولعلمك بقى أنا جسمي مفرود جدًا.

ـ هاها كلهم بيقولوا كده.

ـ عبده، ماتخلنيش أتنرفز عليك. تعالى دلوقت نعدي على الصيدلية وأتوزن قدامك.

ـ ده على اعتبار إن الميزان ناطق، والا ح يطلع الوزن بلغة برايل؟؟ خلاص أنا عديتها يا ستي، ٦٠ كيلو وخلصنا.

ـ لا، إنت بتقولها باستخفاف، وده مش عاجبني.

ـ طب مقاس رجلك كام ؟

ـ مقاس رجلي ٣٧.

ـ هاهاهاها .. لا بقى ده إنتي بتستعميني بجد.

ـ لا إنت اللي بتستفزني وبتعصبني.. مقاس رجلي ٣٧، وكمان بتطلع واسعه عليا.

ـ بصي بقي.. أنا ما أقدرش أحط إيدي على جسمك عشان أعرف إنتي رشيقة والا تخينة، وعلى فكرة أنا لما قلت لك ٩٥ كيلو كنت بأحاول أجامل.. لكن فكرة إنك تستعميني في وزنك ومقاس جزمتك ؛ الموضوع ده جارح كرامتي.. ما هو مش كل واحد يشوفني يستعماني... كده كتير.

ـ لا بقى.. أنا ما أسمحلكش.

ـ خلاص يا ستي خلاص، مفيش داعي نخسر بعض .

ـ خلاص نقفل على الموضوع ده.

ـ بس من غير ما تتعصبي.

ـ أنا مش متعصبة ، عاوز تصدق إن ٣٧ ده مقاس رجلي صدَّق ، مش عايز إنت حر.

ـ ما هو ياما أفيال والعياذو بالله ومقاس رجلهم ٣٧.. هو بمقاس الجزمة ؟؟ دي كلها شكليات.

ـ يالا نقوم.. أنا عايزة أروَّح.

ـ شفتي بقى اتعصبتي إزاي ؟؟.. بصي م الآخر ، هما منطقتين ما بيكدبوش : الرقبة والدراع.. وأعذري عمايا ، بس عشان نبقى أصحاب على الأبيض ومن غير غش من أولها ، حطي إيدي على رقبتك.

ـ هات إيدك... أدي رقبتي.

ـ واااااااااو.

ـ وأدي كمان دراعي... ها صدقت ؟

ـ أنا دوخت.. إزاي واحدة زيك بالجمال ده والجسم ده تتطلق أو ما تبقاش سعيدة ؟؟ ده أكيد متخلف.. واحد غيره يصحى كل يوم الصبح يبوس الرجل اللي مقاسها ٣٧ ويشيل الـ٦٠ كيلو الوزن ياخده في حضنه ويحمد ربنا ع النعمة إن فيه زوجة جميلة كده في حياته... أنا بجد مش قادر أصدق ، هو فيه ناس أغبياء كده ؟؟ معقولة واحدة بالرقي ده ورقة المشاعر دي الواحد يسيبها تمشي من حياته.. ده إنتي لو مراتي... بلاش مراتي عشان ما تفهمينيش غلط... أو جارتي أو زميلتي ؛ كنت كل يوم لازم أحمد ربنا على نعمة وجودك في حياتي... أنا آسف بجد يا سو.

ـ معلش يا عبده.. مش كل الناس زيك.

ـ بس عشان الواحد ما يظلمهوش برضه ونبقى ادينا له حقه ، إيه أخبار بقية الملامح... ما هو ممكن برضه يبقى الجسم ناعم ورشيق والوش يعني... يعني...

ـ إنت ح تلبّخ تاني بعد ما إتعدلت ؟ اسمعنى م الآخر كده وطرطق ودانك : أنا ست حلوة قووووي ، وشي وملامحي وشعري وكل حاجة فيا.. ومش عايز تصدق اسأل على جمالي الستات قبل الرجالة ، ساعتها ح تعرف الست اللي بتشرب معاها النسكافيه وإنت جارر في إيدك كلب بلدي دي شكلها إيه

تجاوزتُ عن تلميحاتها المهينة ، ومددت يدي إلى وجهها معيدًا مشهد الأستاذ صالح سليم وهو يتلمس وجه الأستاذة نجاة الصغيرة في الفيلم ، ثم اصطنعت رعشة في أصابعي وكأن كهرباء أصابت حواسي:

ـ لا لا ،، مش ممكن.. أنا النهاردة أكتر يوم في حياتي اتمنيت فيه إني أكون بأشوف، إنتي إزاي كده ؟ لو مش ح أتكلم عن جمالك اللي لمسته بإيدي خليني أتكلم عن حنيتك ، عن مشاعرك الطاهرة وقلبك الطيب اللي بيساعد المحتاج ويقف جنب الكفيف.

ـ أرجوك يا عبده وفَّر كلامك الحلو ده عشان بيعذِّبني ، وأنا اتعذبت كتير قبل كده.

ـ إنتي تتعذبي ؟؟؟ إنتي ؟؟؟ إزاي ؟؟ ده أنا النهاردة حاسس إن فيه معنى تاني لوجودي لمجرد إنك قريبة مني وقاعدة معايا وسمحتي لي إني اكون جنبك واستحملتي سخافاتي وتهريجي وكلبي البلدي.

ـ كفاية يا عبده ما تدغدغش مشاعري أكتر من كده، وطلع الكلب من الموضوع.

ـ ما تخليها تتدغدغ يا سو ، زي ما أنا اتدغدغت النهاردة ، إنتي كائن جميل من حقه يعيش ويضحك ويفرح وينطلق... إفرحي واسعدي.. إنتي إنسانة يا سو.

ـ أيوه يا عبده معاك حق.

ـ أرجوكي خليني أبوس إيدك تاني... إيه ده إنتي بتعيطي ؟

ـ وعرفت إزاي ؟؟

ـ حسيت فجأه إن قلبي اتخطف.

ـ بوس إيدي يا عبده... بوس.

ـ إيدك بس ؟

ـ بوس اللي إنت عايزه.

هكذا انتهت المرحلة الأولى من إجتياح شلالات نياجرا... تقاليد النادي الأرستقراطي كانت تسمح أن أقبَل يدها ورأسها وقبلة سريعه على الخد.. ولكني تجاوزتها بقبلة خاطفة على الشفايف أعقبتها باعتذار لتجاوزي.. قبّلتها وهي راضية.

قررتْ أن تقوم بتوصيلي إلى شقة وسط البلد ، وتركتني على باب العمارة بصحبة روي ، وما إن غابت سيارتها عن عيني حتى أطلقت سراح روي متمنياَ له مستقبل مشرق بين كلاب وسط البلد... وأخذتُ تاكسي عائدًا إلى شارع النادي لأستقل سيارتي وأعود إلى البيت حيث الحساب العسير مع نرجس التي بالتأكيد اكتشفت

أنني استعملت شامبو النخاع في حمام الكلب... ستكون جولة جديدة من جولاتنا المعتادة أنا وهي... ولكن يجب أن لا يشغلني شيء في الأيام التالية عن سوسن... وهو الأمر الذي يحتاج إلى تكتيكات جديده ومتفردة للوصول إلى محطة شقة وسط البلد.

(٦/٤)

مش ح أتنيل أستسلم

أستطيع أن أقول وبمنتهى التواضع إن شخصي الكبير يستحق بجدارة كل جوائز العالم في الفلاتان.. لا تقولي دون جوان ولا حتى راسبوتين،، عبد الستار ياعم.. عبد الستار ولا فخر.. فالذي شهدته الأيام التالية من تطورات في علاقتي أنا وسوسن يؤكد بالفعل أنني مدرسة، وأن تلك المذكرات التي أدونها هي زخر للإنسانية ونبراس للأجيال القادمة وللرجال في كل مكان في العالم... وقريباً ستكون هذه المذكرات في أيدي الرجال في أمريكا، وفي أدراج مكاتبهم في إنجلترا، وفي حفر الثلوج في سيبريا... سيتمنى كل رجل في العالم أن يقتني مذكرات عبد الستار ليتعلم وليهتدي طريق الصواب...

لن أطيل عيكم في مدح نفسي...

على أية حال ما أن مرّت أيام على قبلتي الأولى لسوسن حتى أصبحتُ من أقرب الناس إليها... التقينا في الأسبوع التالي ثلاث مرات، كنت دائمًا حريصًا على عدم الاقتراب منها حتى تشتاق للمسة اليد وقُبلة الشفاه... بالبلدي كده كنت بأعطّشها...

وعلى الجانب الآخر ، كانت نرجس تعيش ساكنة مطمئنة نتيجة حتمية لحرصي الشديد في هذه الفترة على إسعادها وإبعاد أي منغصات منزلية عنها ، والتزامي بكل واجباتي كربِّ أسرة بمنتهى السعادة والرضا ، ولم أدع الشكوك تتسرب إليها من أي جانب... وحين حاولت سوسن ذات مرة الاتصال بي ليلاً لم أرد عليها وأفهمتها أنني أنام في التاسعة مساءَ وأستيقظ فجرًا لأمارس تمريناتي الرياضية قبل أن أبدأ يومي... وهكذا ارتحت من التليفونات التي من الممكن أن تتسب في هدم حياتي الزوجية واستقرارها...

وفي نهاية الأسبوع كان اللقاء الحاسم مع سوسن.. وتستطيع أن تقول بلغة الفاكهانية المحترمين إنها "إستوت" واليوم يوم قطافها.

كان لا بد من كسر حاجز اللقاءات في الأماكن العامة ، وكان لا بد من تكتيك خاص يتيح لنا الانتقال السلمي إلى مرحلة البيت بيتي؛ أو بيتها ، لا يهم ، فهي تعيش بمفردها في الدور الثاني في الفيلا وله مدخل خاص بعيد عن مدخل الجمعية وعن عيون المتطفلين.. بيت آمن مثل شقة وسط البلد ، وليس هناك مبرر للتأجيل... خش بصدرك يا عبده...

ـ عارفة يا سو ؟

ـ إيه يا عبده ؟؟

ـ عارفة.. إنتي إديتيني حياة غير اللي عشتها قبل منك. وعشان كده

بقيت طمّاع ونفسي في حاجات كتير.. يمكن تكون مجنونة.. يمكن أكون ما استاهلهاش...

ـ نفسك في إيه ؟؟

ـ نفسي ما تحرمش من أي حاجة بيتمتع بيها المفتحين.

ـ يا عبده ماتوجعش قلبي.. إنت مفيش حاجة ما تستاهلهاش... ومعلش دي حكمة ربنا وأكيد له حكمة إنك ما تشوفش ، بس أكيد ربنا معوضك في حاجات كتير أكتر من المفتحين.

ـ (تنهدت بأسى) أيوه...

ـ طب قول نفسك في إيه ؟؟ نفسك تعمل إيه ومش قادر تعمله ؟

ـ نفسي... نفسي أرقص.

ـ طب ما ترقص.. إعمل اللي نفسك فيه وأرقص.

ـ ما هي المصيبة إني ما بأعرفش أرقص.

ـ ونفسك ترقص إيه بقى ؟

ـ نفسي أرقص صلصا.. مزيكتها بتجنني وبيقولوا رقصتها حلوة قوي. أهي دي حاجة عمري ما ح عرف أعملها.

ـ ح ترقص يا عبده.. وأنا اللي ح أعلمك.

ـ بجد ؟؟؟؟ إزاي ؟؟

ـ مالكش دعوة... وأوعدك ح تكون أحسن واحد بيرقص صلصا في مصر كلها.

ـ يا حبيبتي يا سو.. يا حبيبتي

ثم بوسة على يدها، وأخرى أسفل منتصف الرقبة، تقديراً لوقوفها بجواري في سبيل تحقيق هذه الأمنية.

لم تدرك مدي صعوبة تعليم كفيف فاقد البصر لرقصة الصلصا الساخنة ، خاصة وأنني حاولت جاهدًا القيام الكفيف بمنتهى الإخلاص معتمدًا على أن هذا الأمر سوف يتيح لي مزيدًا من الاستهبال التلقائي في أن أخبط في جسدها أو ننكفئ سويًا على الأرض وأحتضنها "حضن بلاط" وهو الحضن الذي يتم من الوضع منسطحًا...

كانت ليلة ليلاء، استضافتني فيها في الفيلا لتعليمي الدرس الأول... صحيح نتج عنها بعض الرضوض في الركبة، ولكن أغلب الألم كان مرتكزًا في الكدمة التي أصابت كتفي الأيسر حين بالغتُ في الاستهبال محاولاً إلقاء جسدي عليها في حركة راقصة ولم أكن أعرف أن حركتها التالية ستكون في الإتجاه المعاكس، فاختلَّ توازني دون تمثيل واندفعت على الأرض مكتسحًا كرسي الصالون في طريقي... لحظات أنساني الألم متعة وجودها في حياتي، ومتعة الحياة ذاتها، لدرجة أنني كدت أن أرفع الكرسي وأحطمه وأدخل في حاله هياج، لولا ستر ربنا وقوة الخبطة التي شلت جهازي العصبي والعضلي بالكامل وكدتُ أتحول من كفيف إلى كفيف ومشلول شلل رباعي...

كانت تلك الحادثة هي ختام الدرس الأول في تعليم رقص الصلصا، صحيح أن سوسن غمرتني بحنانها وبذلت أقصى ما تستطيع

للتخفيف عني، ولكن كل ذلك لم يستطع أن يزيل الوجع أو يصرف رغبتي في الصراخ والتي مارستُ كتمها بنجاح وأنا أردِّد من ورا قلبي :

ـ كله يهون عشانك يا سو.. أنا أصلاً فداكي.

ـ حقك عليا يا عبده.

ـ إنتي ماعملتيش حاجة ، أنا اللي أتدبيت زي الجاموسة ، أنا اللي حمار وغبي عشان عايز أعمل حاجة مابيعملهاش غير المفتحين.

ـ ما تستلمش يا عبده.. أوعى تستسلم.

ـ أوعى إيه وهباب إيه ؟؟ ده أنا اتدشدشت.. أنا لازم أمشي.

ـ طب ياللا بينا، ح أوصلك.

كانت مصيبة أخرى ستصب فوق رأسي ، فلو قامت بتوصيلي ؛ ستذهب بي إلى شقة وسط البلد ، بينما سيارتي مركونة في الشارع المجاور، وأنا مش حمل مشوار وبهدلة.

ـ لأ لأ.. توصليني إيه ونيلة إيه.. أنا ح أنزل لوحدي.

ـ ح أوصلك البيت.

ـ خليكي مستريحة.. أنا متفق مع سواق تاكسي مستنيني تحت ، خليكي مرتاحة الله يكرمك.

ـ طب طمني عليك لما توصل يا عبده.

ـ حاضر يا سو.

ـ أوعى تستسلم يا عبده.. أوعى.

ـ لأ ما تخافيش.. مش ح أتنيل أستسلم

غادرتها وأنا ألعن الفكره المنيلة بنيلة التي اقترحتها في لحظة تخلف... ليه الصلصا ؟؟؟ ماله الرقص السلو كانت الدنيا مشيت عنب ووفرت على نفسي تلك الخسائر الجسدية والمعنوية التي دفعتها اليوم...

على أية حال، الواحد في مثل هذه الظروف مالوش غير بيته ومراته حبيبته هي اللي تراعيه وتداويه... وما أحلى الرجوع إلى عش الزوجية وإلى حبيبتي نرجس التي أثق أن يدها الحنون ، ودهان مسكِّن الروماتيزم بتاع خالتي قادران إن شاء الله على ذهاب الألم... خاصة وأنني - كما سبق أن أخبرتكم - ملتزم بكل واجباتي الزوجية ومسئولياتي كرب أسرة.. و... و.. ووو...

يا نهاار إسود.. كيف نسيت هذه المصيبة، فاليوم كان موعد سداد قسط التكييف ، وكان يتعين عليّ سداده بعد مشوار سوسن... كانت أولى زياراتي لبيت سوسن، فلم أشأ ان أدخل بإيدي فاضية.. بوكيه الورد كلفني ٦٠٠ جنيه لزوم الفشخرة ، وزغللة العين من ٨٠٠ جنيه أعطتني إياهم نرجس من المصروف لسداد القسط صباح اليوم ، وبما أن كارت البنك الخاص بي منتهى منذ شهر وأن اليوم هو الخميس فهذا معناه أنني لن أستطيع سداد القسط قبل يوم الأحد.. ومعناه أيضًا أن صاحب شركة التقسيط سينغص عيشة

نرجس لأن القسط باسمها... م الآخر هي "ليلة طين" من نرجس ومن الوجع... لطفك يارب.

توكلت على الله وتلوت الشهادتين وأنا أتوجه إلى غرفة النوم، حيث كانت نرجس جالسة أمام التسريحة تلف شعرها موزمبليه.. تحيتها وابتسامتها خففت عني الكثير من الألم وأنا بكل ما أوتيت من قوة أحاول جاهدًا أن أكتم تأوهاتي وآلامي محاولاً الاحتفاظ بصوتي الهادئ وحركتي البطيئة حتى لا تلمح العرج الذي أسير به... ولكن ما أن خلعت القميص وخرجت مني آهة شاردة حتى لمحتْ نرجس الكدمة الزرقاء في كتفي، ورقعت بالصوت:

- يا لهووووي... إيه ده ؟

- مفيش حاجة يا نرجس.. مفيش حاجة.

- إيه اللي عمل فيك كده ؟؟

- دي حاجة بسيطة، مفيش حاجة... ساعديني بس الله يخليكي بدل ما إنتي واقفة تصوتي كده.

وما أن ارتديت شورت البيجامة حتى اكتمل المشهد بمنظر ركبتي المتورمة التي ما إن وقع بصري عليها حتى أدركت أنني يجب أن أرقع بالصوت مع نرجس عن جدارة واستحقاق...

- إيه اللي فشفشك كده يا عبده؟

- آآآآآآآه... آآآآآآه

لم يكن لدي رد سوى السماح بإطلاق صرخاتي وآهاتي كالمرأة التي على وش ولادة... أولول وأتأوه:

ـ آآآآه يا ركبتي... آآآآه يا كتفي.

ـ مين اللي فشفشك كده يا عبده ؟؟

ـ ح أقولك يا نرجس يا حبيبتي، ح أقولك.. بس أرجوكي أبوس إيدك الحقيني بمرهم وادهني لي رُكبي.

بلهفة وبحنو بالغ وبتضحية عظيمة، قبلتْ أن تفتح دولاب خالتي رئيفة لتحضر منه مرهم الروماتيزم المسكن، وعادت وكلها آذان صاغية لتسمع القصة التي لا أدري أنا شخصياً ما هي... ولكن ألهمني الله أن أنطلق:

ـ الانفلات الأمني يا نرجس.

ـ الانفلات الأمني هو اللي فشفشك كده ؟؟

ـ وأنا راجع من الشغل لقيت كمين في حتة ضلمة... قلت ح يشوفوا الرخص وخلاص... أتاريهم حرامية عاملين فيها ظباط وعايزين يسرقوا العربية.

ـ يالهووي.. وسرقوها ؟؟

ـ لا ما تخافيش... جوزك رااااجل.. كانوا تلاتة وأنا لوحدي بطولي... قمت ساحب مفتاح العجل من تحت الكرسي ونزلت أضرب فيهم ويضربوا فيا لحد ما اتفشفشنا إحنا الأربعة.

ـ وبعدين ؟

ـ ولا قابلين... قدرت أدخل عربيتي ودورتها عشان أمشي ، قاموا اتشعبطوا في الشباك وفضلوا يتحايلوا عليا أخدهم لأقرب مستشفى.

ـ مستشفى ؟

ـ أيوه.. ما أنا أصلي دغدغتهم تمام.

ـ وأخدتهم معاك ؟؟

ـ الصراحة رفضت.. بس قلبي حنّ وفكرت... قلت في عقل بالي دول أكيد ضحايا المجتمع ، وأكيد ما كانش نفسهم يبقوا حرامية.. وأكيد موقف زي ده ح يخليهم يراجعوا معتقداتهم ويحطهم على الطريق السليم.. ولما يتغيروا أنا بالتأكيد ح أبقى فخور بيهم وباللي عملته معاهم.

بالطبع أنتم لستم في حالة إلى وصف تفصيلي لنظرات نرجس لي في هذه اللحظة

ـ كمل يا خويا كمل.. وبعدين ؟؟

ـ أبدًا.. وديتهم المستشفى وعملوا لهم الإسعافات الأولية ، ودفعت لهم تمن الكشف والعلاج.. صحيح أنا دفعت ٦٠٠ جنيه ، بس دول ييجوا إيه جنب عمل الخير والعمل الصالح اللي أنا عملته ، ييجوا إيه جنب نظرات الامتنان والشكر اللي كانت في عينيهم...

أنا فخور بنفسي قوي يا نرجس.. أنا النهاردة غيّرت ٣ مجرمين وخليتهم مواطنين صالحين.

ـ طلعوا عليك عشان يسرقوا العربية وضربوك وخرشموك... وأخدتهم المستشفى ودفعت لهم ٦٠٠جنيه ؟؟

ـ آه والله يا نرجس.. مفيش أحلى م العمل الصالح.

ـ طب وماجبتهمش معاك ليه يتعشوا وياكلوا لقمة ونفضِّي لهم أوضة يعيشوا فيها ؟؟

ـ يا سلام على حنية قلبك يا نرجس... أقولك الصراحة، أنا فكرت.. بس قلت لأ.. لازم يواجهوا الحياة بصعوباتها ويعتمدوا على نفسهم عشان يتودكوا.

ـ يتودكوا ؟

وفجأة قفشت في ركبتي الوارمة وبهدوء رجال المباحث سألتني وهي تنظر في عيني نظرة الشر:

ـ دفعت القسط ؟؟

ـ قسط إيه ؟؟ أقولك عمل صالح تقولي لي قسط ؟

ـ دفعت والا لأ ؟؟

ـ آآآآآآه.. آآآآآه.. سيبي ركبتي

ـ مادفعتش القسط يا عبده وصرفت الفلوس على العيال الحرامية اللي فشفشوك ؟؟

ـ نرجس.. إنتي محتاجة تهدي شوية.

ـ لأ يا عبده، أنا مش محتاجة أهدي ولا حاجة.. أنا محتاجة ألطم على وشي... وعشان ما أبوظش أعصابي، وأعرف من هنا ورايح أنظم حياتي... أنا حأظبط نفسي على الموضوع ده... كل يوم بعد ما حضرتك تشرف بنص ساعة ألطم.

ـ كل ده عشان عملت خير ؟؟ كل ده عشان ساعدت ناس منحرفة إنها تسلك السلوك القويم ؟

ـ اسكت خالص، أحسن ح أفك لك سلوك مخك سلكة سلكة بإيدي.

ـ إنتي إتغيرتي يانرجس... مش إنتي أبدًا نرجس اللي أنا اتجوزتها وحبيتها.. مش إنتي أبدًا أم القلب الحنين.

ـ ده أنا ح أوريكي أم أربعة وأربعين... ح أطلع على جتتك أم سحلول... يالهووووووووووووي

(٧/٤)

لن أعترف

استدعت ركبتي الغلبانة وكتفي المتورمة أسبوعًا من الراحة والمُحن في ذات الوقت.. بحسبة بسيطة كنت أدرك أن هذا الأسبوع سيزيد شوق سوسن لرؤيتي، بالإضافة إلى ترقيق قلب نرجس عليّ وهي تمرِض زوجها المفشفشش الغلبان...

كان عليّ إقناع سوسن بأن شقيقتي حضرت من البلد لتقضي معي هذا الأسبوع، هروبًا من طلبها الملح لزيارتي للاطمئنان عليّ، وأفهمتها أننا أسرة محافظة وأن شقيقتي لن تتفهم أبدًا زيارة امرأه فائقة الجمال مثل سوسن لبيت شاب يعيش وحيدًا؛ حتى وإن كان كفيفًا... واقتنعت سوسن على مضض بعد وعدي لها بالالتزام بالاتصال بها يوميًا لأطمئنها عليّ... على الجانب الأخر من محيط الحياة الزوجية كانت نرجس تتفانى في تمريضي بعد أن رقَّ قلبها على زوجها المخبول حسن النية.. وأنستها حالتي قسط التكييف والفصل البايخ الذي فعلته... هكذا مرّ عليّ الأسبوع في سعادة وهناء لايعكر صفوها سوى آلامي وشوقي ولهفتي لسوسن.

خلال الأسبوع زارني محمود متشفيًا... ربما كان لديه بعض الحق في أنني اتخذتُ طريقًا صعبًا وغير مألوف للوصول لسوسن ، ولكن أمثاله لا يدركون أن هذا هو دائمًا قدر الروّاد ، فلولا ابن فرناس الذي مات وهو يحاول الطيران ما عرفت الإنسانية الطائرات ولا الصواريخ... أيها الغبي مثلك لا يقدِّر الرواد في عالم الفلتان ، وأنا واحدٌ منهم ؛ إن لم أكن أعظمهم ؛ ويومًا ما سيسجل التاريخ اسمي بحروفٍ من نور...

غايته... انتهى الأسبوع على خير ، وأصبحت قادرًا على السير وقيادة السيارة ، فقررت العودة لممارسة حياتي الطبيعية وأنا كلي شوق لسوسن التي لن أراها إلا بعد الغد ؛ يوم الثلاثاء ؛ فتوجهتُ إلى مكتبي لأمارس حياتي.....

ياااااه.....

تذكرتُ الآن أنني نسيتُ أن أحدِّثكم عن عملي ، فأنا بعد تخرجي من كلية التجارة شاركتُ أنا وأصدقائي محمود ويوسف في شقة كبيرة في مبنى إداري بأحد المناطق الشعبية ، تتسع لثلاثة مكاتب.. مكتبي للمحاسبة ، وآخر للهندسة يخص محمود ، والثالث يوسف المحامي... وصالة الشقة هي صالة انتظار للمكاتب الثلاثة ، وبها حمام كبير وآخر صغير ، ولدينا سكرتيرة مشتركة هي "أم عيلاء" -ينطقونها هكذا- سيدة في أواخر الثلاثين من عمرها ، تجيد القراءة والكتابة في حدود المعقول، ونشترك جميعنا في مرتبها... حين قرّرت

فتح المكتب كنتُ أعتقد أنه سيكون فصلاً متطوراً في عالم الفلتان، ولكن قضت على أحلامي طبيعة المنطقة، فلم يتعد عملي سوى الميزانيات والملفات الضريبية والإقرارات لمجموعة من الورش وأصحاب المهن الحرة الصغيرة.. صحيح أن ذلك الأمر ضمن لي دخلاً مقبولاً، ولكنه لم يضمن لي سوى التعامل مع أصحاب الايدي الخشنة... وحتى السكرتيرة التي كان خيالي يذهب بعيدًا في أنها ستكون بطلة إحدى مغامراتي انتهت بـ"أم عيلاء" التي وافقتُ عليها بمنتهى الحكمة والموضوعية إتقاءَ لغيرة نرجس وتأكيدًا على حسن أخلاقي الزوجية المنزهة من أي شك، بالإضافة إلى المزايا الأخرى التي تمتاز بها "أم عيلاء"، وهي تنظيف الشقة والمكاتب وعمل الشاي والقهوة والإفطار واستقبال الزبائن... ولن تجد -مهما بحثت- سكيرتيرة مالتي سيستم غير "أم عيلاء"، حتى وإن عرضت مرتبَا بالآلآف.

انقضى اليوم الأول لعودتي بالسلامة، والذي افتتحته "أم عيلاء" بزغرودة ترحيب، وتلاها إفطار معتبر ولقاء بعض الزبائن... وانتهى اليوم على خير.. ولم أنس قبل نهايته أن أرسل أم عيلاء إلى السوق لشراء كبدة بلدي وطحال وبعض الفاكهة أعود بهم إلى نرجس لتعد لنا عشاءَ شهيَا.. وأنا أدرك تماماً مكانة الطحال لدى نرجس، لذا أوصيت أم عيلاء بأن تشتري لنا ٢ طحال مكافأه لنرجس على دورها الإنساني في تمريضي طوال الأسبوع... وبعد عودتها بالمشتريات

أعطيتها مفتاح السياره لتضعها فيها ، وعادت بالمفتاح ومعها تليفوني المحمول الذي كنت قد نسيته في السيارة وهي تخبرني أنه كان يرن أكثر من مرة حتى فصل شحن.. فلم أعرف من الذي كان يحاول الإتصال بي.. على أية حال الدنيا مش ح تطير ، وبما إني لا أحمل شاحن السيارة فلن أتمكن من معرفة المتصلين قبل عودتي للمنزل... معلش أهو على الأقل لن أضطر إلى الحديث أثناء القيادة وأنا كتفي لسه واجعني.

وأمام باب الشقة حالت الأكياس التي أحملها دون استعمالي للمفتاح فقمت برن الجرس... وأقبلت نرجس...

أصارحكم القول... كنتُ مشتاقًا إليها ومتلهفًا على رؤية فرحتها بالطحال.. كانت ابتسإمتى على آخرها وفاشخ "ضبي"، بينما وجهها جامد كالصخر وعينها بتبخ شرار... ظلت متسمرة أمامي لا تنطق وأنا منتظر أن تتنحَ جانبًا لتسمح لي بالدخول أو تتناول عني الأكياس:

ـ إيه يا حبيبتي..؟ إزيك ؟

مسحتني بنظرتها من فوق لتحت ، ومن تحت لفوق ، واستدارت عائده إلى الداخل دون أن تنطق...

هي ليست عادتها، وهذا مؤشر على أن في انتظاري مصيبة كبرى لم يسبق لها مثيل.. عادتها دائمًا كما تعرفون أن تولول، تلطم، تصرخ،

تحطم الأشياء، وتشد شعرها... لكن هذا الصمت الغاضب والنظرة المخيفة فلا معنى لها سوى أن المصيبة تقيلة، وربما لن تتنازل هذه المرة عن الإطباق في عنقي أو تضربني بسكينة وتخلص...

أربع خطوات من الباب إلى منتصف الصالة ، توقفتْ عندها وأعادت النظر إليّ نظرة أبطال أفلام فرانكشتين ومصاص الدماء.. بعدها اتجهت إلى غرفة النوم...

ظلَّ عقلي يعمل كالمكوك.. ترى ما الذي حدث ؟ هل علمت بموضوع سوسن ؟؟ أم بمغامرات سابقة ؟؟ وإذا كانت تبيت النية على قتلي وإزهاق روحي ؛ فهل أبادرها بالعنف أو أحضر سكين المطبخ معي من باب الاحتياط ؟؟ هل أردِّد عليها بعض الآيات القرآنية التي تنهى عن القتل ؟؟ هل أذكِّرها بـ رامي ابننا الذي سيفقد أباه وتترمي أمه في السجن ؟؟... وقبل كل ذلك ما هو مصير الطحال ؟؟ ربما من الأسلم أن أخذها من قصيرها وأنصرف وأرسل لها ورقة الطلاق في هدوء وأشتري عمري.

حائراََ كالتائه كنت أقف في منتصف الصالة أحمل في يدي الأكياس حين رأيتها عائدة نحوي.. انتابني الرعب وسقطت الأكياس من يدي:

ـ إيه يا حبيبتي ؟؟ إيه ؟؟

ـ إنت ح تفضل واقف كده متسمر ؟؟

خلا صوتها من كل ملامح الأنوثة ، بل من كل ملامح البشرية ، وكأنه صوت عفريت يخرج من جوف بئر... لا أنكر أنني ارتعشت وكادت الدموع تقفز من عيني وأنا أنحني على الأرض أحاول لملمة الأكياس وألملم معها نفسي المبعثرة وأنا أردِّد في توسل:

ـ جايب لك طحال يا حبيبتي.. جايب لك طحال.

وحين لم يؤثِّر فيها ذكر الطحال ، أيقنت أن النهاية قريبة ، والموت علينا حق...زغرت لي وهي تأمرني:

ـ دخّل الحاجات دي المطبخ وتعالى لي.

هنا بالفعل انهمرت الدموع من عيني.. صلبت طولي بصعوبة واتجهت إلى المطبخ وأنا أردِّد الشهادتين.. يفصلني عن قضاء الله بعض خطوات ثقيلة كالجبال.. وأنا أسأل نفسي : إيه اللي حصل.. إيه اللي حصل ؟... ثم نادت عليّ بحدة :

ـ عبد الستار.

آه.. قالت عبد الستار.. حتى في أحلك لحظات الخناق بيننا كانت تناديني باسم عبده.. ولكن عبد الستار ؟؟ إذن المصاب جلل.. وصوتها الذي يشبه صوت رئيس المباحث حين ينادي عسكري المراسلة الواقف على الباب أكد لي أن كل مخاوفي في محلها.. وإذا لم يكن من الموت بدٌ فمن العار أن تموت جبانًا.. ولابد من الدفاع عن نفسي.. لن أستسلم كالخروف.. وبالتأكيد هي مسلحة في الداخل... مددت يدي إلى درج المطبخ.. وتناولت مفكًا صغيراً دسسته في

جيبي الخلفي دفاعًا عن النفس... وبخُطى متثاقلة وكأني أحمل جبل المقطم توجهت إلى قدري المحتوم والدموع تتلألأ في عيني، ولساني يخاطبها بلهجة متوسلة:

ـ ده أنا جايب لك طحال يا حبيبتي.. والله جايب لك طحال.

بإشارة آمرة متعالية شريرة أمرتني بالجلوس على كرسي التسريحة..

ـ مالك يا حبيبتي شكلك متغير ؟؟ حد زعلك ؟؟

ـ بص يا عبد الستار أنا مش ح أسألك عن حاجة.. أنا عايزاك إنت اللي تفكر وتقولي... مش عايز تحكي لي حاجة ؟؟

ـ حاجة زي إيه ؟؟

ـ أي حاجة مخبيها عليا... أي حاجة.

ـ هو أنا بأخبي عليكي حاجة ؟؟ ده إحنا بقالنا عمر متجوزين، عمرك شفتي عليا حاجة وحشه لا سمح الله ؟

ـ ما هو ده اللي أنا مش فاهماه.. وعشان كده بأديك فرصة عمرك.

(فرصة عمري ؟؟؟ هو ده اللي أنا كنت عامل حسابه.. الولية ناوية على موتي)...

ـ أقول إيه وأحكي إيه يا نرجس يا حبيبتي؟

ـ (ردَّت بمنتهى الهدوء والحزم) لو قلت حبيبتي دي تاني ح أفتح كرشك.

ـ لا لا،، إنتي مش طبيعية خالص، ومش ح أعرف اتعامل معاكي بالأسلوب.. أنا ح أنزل.

كنت أتوق للهرب نافذًا بعمري.. ومرتبكًا وقفت على رجليّ متأهبًا للجري من أمامها، فأشارت لي بأصابعها تأمرني بالجلوس، فجلستُ كالبوبي.

ـ ح أقولها لك تاني وللمرة الأخيرة.. أنا بأديك فرصة عمرك ومش ح أقولك أنا عرفت إيه.. إنت اللي ح تحكي لي بنفسك وتعترف بنفسك، ولو عملت كده ممكن بعدها نتكلم وممكن أسامحك وأعتبر اللي فات مات.. أما بقى لو أصريت على موقفك فيبقى تستاهل اللي ح يجرالك... أنا فهّمتك وخلصت ضميري.

ـ أحكي إيه وأعترف بإيه بس يا نرجس ؟

ـ ح تعترف لي بكل حاجة.. كل حاجة.

يا ليلة طين.. عايزاني أعترف لها بكل حاجة ؟؟ كل حاااجة ؟ دي حكايات يطول شرحها، وأجيب لها عمر منين عشان أحكي لها كل حاجة.. هي لا تدري خطورة ما تطلبه... بالتأكيد عرفت بموضوع سوسن لا أدري كيف، لكن هذا الموضوع هو الذي أعيشه الآن.. ربما شاهدني أحد معها.. ربما أي سبب جعلها تعرف.. ولكن هل أعترف؟ هي تقول إنها ستعفو بعد الاعتراف.. لكن ما هذا إلا كذبة لجر رجلي للاعتراف وبعدها ستشعل الدنيا نارًا وتولعها حريقة... لذلك أرجو من كل فلاتي، ومن كل زوج متحضر يقرأ هذه الأوراق: إياك أن تعترف مهما كانت الضغوط.. لا تعترف من تلقاء نفسك قبل أن تعلم حجم المعلومات التي لدى زوجتك.. لا تعترف حتى

وإن عذبوك عذاب الكفار أو أطلقوا عليك الثعابين تنهش لحمك... فذلك أهون من الاعتراف.

صحيح أن الحالة التي عليها نرجس لم أرها في عمري معها من قبل، وبالتأكيد هي وضعت يدها على مصيبة كبيرة من مصائبي، ولكن ما أدراني أنها ستكون ذات المصيبة التي سأعترف بها... وقتها سأكون أضفت مصيبة أخرى وعن طيب خاطر طمعًا في العفو الذي لن أناله أو يناله أي زوج معترف... نعم ينتابني الرعب الآن من منظرها، وقد تخرِج من تحت المخدة سكينة ترشقها في صدري... ولكن هيهات... ده الاعتراف سيد الأدلة ياعم... هو أنا عبيط؟... اصمد يا عبد الستار.

ـ نرجس... لو عندك حاجة قوليها ونخلص.. إنما جو هيتشكوك وشغل أمن الدولة ده مش عاجبني... مالك ؟ قولي لي فيه إيه ونتكلم.

ـ يعني إنت مش عايز تقول من نفسك ؟؟

ـ أقول حاجة مش عارفها ولا فاهمها ؟

ـ أنا حذرتك وإديتك فرصتك.. بس صدقني يا عبد الستار دي كانت آخر فرصة.. ومش ح أسامحك ولا ح أغفر لك ولا حتى عايزة اسمع منك أعذار وحسابك ح يكون عسير.

ـ أنا مش عارف إنتي بتهدديني ليه وعشان إيه ؟؟قولي أنا عملت

إيه ومفيش داعي لحرق الأعصاب ده.. لو عندك حاجة قوليها وخلصيني.

ـ بتخوني من إمتى ياعبد الستار ؟؟؟

ـ إيه ؟؟؟ أخونك ؟؟؟؟

ـ رد عليا.

صمت صمت صمت... تاه عقلي وصدمه السؤال المكهرب الذي لا أدري له إجابة موضوعية.. فالحقيقة أقولها بصدق، لا أستطيع أن أذكر التاريخ بالظبط.. كان ممكن تسألني خونتني كام مرة ؟ ورغم صعوبة هذا السؤال أيضًا ولكن يمكن بعصر الذاكرة أن أتذكر معظمهن.. لكن خونتني من إمتى ؟؟ لا ماعنديش إجابة

ـ إنطق.. بتخوني من إمتى ؟؟

ـ مش فاكر

ـ مش فاكر؟؟ مش فاكر ؟؟؟ (وهبت واقفة)

ـ مش قصدي مش فاكر بأخونك من إمتى.. قصدي ماكنتش فاكر إنك في يوم من الأيام تفكري فيا كده.. أخونك ؟؟ طب أخونك ليه ؟؟ وأخونك إزاي ؟؟ أخونك وأنا بحبك كل الحب ده وماليش أمل في الدنيا غير سعادة مراتي وابني ؟؟

مدت يدها تحت المخدة.. بالتأكيد ستتناول السكين.. جلستي على كرسي التسريحة تبعد عن الباب حوالي ٦ خطوات وهي مسافة كافية تسمح لها بقطع الطريق عليّ وغرس السكين في رقبتي...

مددت يدي إلى جيبي الخلفي أتحسس المفك استعدادًا للدفاع عن نفسي... انهارت أعصابي وبدأت أصابعي في الارتعاش وهي لم تخرج يدها بعد من تحت المخدة، فصرخت برعب:

ـ إنتي ح تعملي إيه يا نرجس ؟؟ ح تطلعي إيه من تحت المخدة.. أرجوكي يا نرجس... (بدموعي) طب أنا عايز أكلم خالتي رئيفة.

بدا صمتها متلذذًا بمشهدي المرتعش، لذلك لم تسارع بإخراج يدها من تحت المخدة ، وبمنتهى الهدوء والتؤدة أخرجت يدها قليلاً وألقت في وجهي مجموعة من الأوراق مصحوبة بكلمة واحدة:

ـ إسفوخس .

توقف قلبي لبرهة ، ولكنني تنفست الصعداء حين اكتشفت أنها مجرد أوراق.. لم أتبينها في البداية لدموعي، ولكن الحمد لله.. مهما كانت هذه الأوراق فهناك أكيد حل.. فأنا منذ الصغر كانت أول قواعدي هي عدم ترك دليل واحد مكتوب خلف أي مغامرة ، لا جوابات لا مذكرات لا أوراق بها تليفونات أو أسماء، وبالطبع لا صور.. لذلك مهما كان ما تحتويه هذه الأوراق فمن السهل الرد عليها وإنكارها... هاتي ما عندك يا نرجس وتعالي لي في ملعبي...

ـ إيه دول يا نرجس ؟؟

ـ إيه، اتشليت في إيديك مش قادر تجيبهم؟ والا إتعميت في عينيك ومش شايفهم ؟ دول فضيحتك يا سيد الرجالة يا ابن الناس الكويسة.

ـ لا يا نرجس، لا إتشليت ولا إتعميت.. وحسني ملافظك معايا.. أنا ساكت ومش عايز أتكلم ولا عايز أتغابى عليكي عشان أكيد إنتي في حاجة فاهماها غلط.

ـ تتغابى عليا ؟؟ كمان ؟ إنت تلم الزبالة دي وتاخد هدومك م الدولاب وغسيلك الوسخ م الحمام وتتفضل تطلع برة البيت، وما أشوفش وشك، وتبعت لي ورقتي يا خاين يا منحرف يا قليل الأصل.

مددت يدي بثقة ألملم الأوراق وأرى ما فيها.. ولحظتها أدركتُ أنها مصيبة واتحطت على دماغي.. إيصال نور شقة وسط البلد، وصورة من عقد الايجار باسمي... اتطربقت فوق دماغك يا عبد الستار... كيف وصلت هذه الأوراق لنرجس ؟؟ هل هناك واشي بيننا ؟ وما الذي سيستفيده من فضحي وكلنا في الهم سوا.. كانت قصة طويلة لوصول هذه الأوراق ليد نرجس، عرفتها فيما بعد... فالبهوات الشركاء لم يدفع أحد منهم إيصالات الكهرباء لمدة شهرين.. وصباح ذلك اليوم جاء عامل الكهرباء لقطع التيار عن الشقة.. البواب أبلغ صاحب الشقة فطلب منه الاتصال بي للحضور والسداد حتى لا يضطر لدفع رسوم إعادة التيار... وحين لم يستطع البواب الوصول إليّ عبر الموبايل الذي نسيته يومها في السيارة استطاع الوصول إلى رقم المنزل الأرضي من الدليل... والباقي معروف... ساومته نرجس عارضةً عليه سداد فواتير الكهرباء بالإضافة إلى بقشيش ومواصلات

٢٠٠ جنيه بشرط أن يحضر لها صورة عقد الإيجار... وهكذا وقعت الواقعة... وكما قال أحد الخرفان : تأتيك المصيبة من حيث تترفع أنت أن تروح إليها.

تناولتُ الأوراق من الأرض وأسندت رأسي إلى كتفي لا أدري ماذا أقول.. نظراتها المليئة بالغضب والشر تنتظر مني أي تفسير أو رد فعل... وهو أمر يجب أن تتعلموه جيدًا : الاحتفاظ بأكبر مدة ممكنة من الصمت لترتيب الأفكار.. لا تندفعوا في مبررات قد تكون عبيطة تزيد الطين بلة.. بالإضافة إلى أن صمتك سيربك الخصم.

حين يأست نرجس من رد فعلي قامت واقفة وهي تأمرني بلهجة حاسمة:

ـ اتفضل بقى بعد فضيحتك دي لم هدومك ووريني عرض كتافك، وورقتي توصلني بكرة.

ـ إنتي عرفتي إزاي ؟؟

ـ هو ده اللي همك يا بارد ؟؟ عرفت إزاي ؟؟ يا خاين يا واطي.

ـ اقعدي يا نرجس ومن غير غلط أرجوكي.. أنا دلوقت مضطر أفهمك كل حاجة للأسف.

ـ مضطر ؟؟ وللأسف ؟؟ لا يا سيدي الله الغني.. وأنا مش عايزة أفهم ولا أسمع تفسيرات... اتفضل انجر من هنا.

ـ لا يا نرجس، لازم تقعدي وتسمعي وتفهمي.. من حقك تفهمي.. ولازم تعرفي إن مش من حقك تتعاملي معايا كده ولا بالأسلوب

ده.. ولمَّا تفهمي ح تعرفي إنه ماكانش ينفع لا أقولك ولا أحكي لك حاجة.. لكن دلوقت مضطر.. مضطر رغم خطورة اللي ح أقولهولك.. بس ماعنديش حل تاني.. بيتي وأسرتي ومراتي أهم من أي خطر... بصي يا نرجس، أنا ح أحكي لك كل حاجة بمنتهى الصراحة وبمنتهى الوضوح، ولو لقيتي في الكلام اللي ح أقوله ده أي حاجة تمس كرامتك كزوجة أو كبريائك اعملي اللي إنتي عايزاه... بس أرجوكي قبل ما أقول أي حاجة أنا ليا شرط واحد...

ـ وكمان بتتشرط؟.. قول قبل ما أفتح نافوخك.

ـ أرجوكي من غير تجاوز.. الشقة دي يا نرجس مش أنا اللي مأجرها.. الشقة دي يا نرجس متأجرة لي، واللي مأجرهالي: مصر يا نرجس... مصر.

ـ مصر ؟؟ يا ابن المجنونة ؟

ـ قلة أدب مش عايز.. وتجاوز، مش ح أسمح بيه.. أيوه مصر.. بلدنا.. كل مصر.

ـ مصر اللي مأجرهالك ؟؟ بتخوني مع مصر ؟؟ وكل مصر ؟؟... يالهووووووي

بما إن نرجس عادت بسلامة الله إلى محطة "يالهووي" فالأمر يبشِّر بالخير...

ـ افهمي اللي بأقولك عليه واهدي شوية.

ـ ولمَّا هي مصر يا أخويا اللي مأجرة الشقة، ماكتبتهاش باسمها ليه؟

هنا يجب استدعاء موسيقي رأفت الهجان في الخلفية:

ـ أنا في مهمة عشان البلد يا نرجس. وأرجوكي ما تقاطعينيش عشان أقولك كل حاجة وبالتفصيل.. ودي مش أول مرة أخدم فيها البلد.. فاكرة لما لقيتيني من شهرين ماشي مغمض في الشقة وفضحتيني وجرستيني مع عواطف مرات محمود ؟؟.. أنا كنت بأتدرب عشان أقوم بالمهمة اللي أنا فيها النهاردة.. عشان أقوم بدور كفيف وأقدر أخترق وكر الجواسيس.

ـ الجواسيس ؟؟

ـ أيوه طبعًا الجواسيس.. البلد مستهدفة يا نرجس من كل حتة وجهات عليا كلفتني بالمهمة دي.. وأجّروا لي الشقة عشان يبقى ليا عنوان غير عنواني هنا.

ـ طب وإشمعنى إنت يعني ؟؟ وايه اللي عرّف الجهات العليا بحضرتك أصلاً ؟؟

ـ ما تستوهنيش بجوزك يا نرجس.. أنا من كام شهر اكتشفت قضية غسيل أموال كانت ح تستخدم لتمويل عمليات إرهابية... وبعدين الجديد في عالم المخابرات دلوقت اختيار ناس عادية يقوموا بمهمات كبيرة... أنا كل يوم في خطر يا نرجس، وممكن حياتي تضيع في أي لحظة ، بس مش مهم... مصر أهم ، ومستقبلكم في الوطن أهم.

ـ خطر... يا لهوي

ـ طبعًا خطر، إنتي مستهونة باللي بأقولهولك ؟؟

ـ طب وإحنا ح يعود علينا من ده بإيه يا عبده؟. أنا ورامي مالناش غيرك، لو أخدت لك رصاصة وألا خطفوك.. ح إتلطم أنا والواد ابنك.

ـ كله عشان مصر يا نرجس، وعشانكم إنتوا كمان.

ـ يعني إنت دلوقت بتشتغل مع المخابرات ؟؟

ـ ما أقدرش أقول يا نرجس.. إنتي افهميها لوحدك

ـ يا حبيبي يا عبده، ده أنا ظلمتك قوي.

ـ ظُلمي أنا مش مهم... أنا كنت متأكد إنك ست عاقلة وتعرفي تحكمي الأمور.. بس إنتي ظلمتي مصر يا نرجس.

ـ يا لهووي، لا... كله إلا مصر.

ـ كل اللي مطلوب منك إنك ماتجيبيش سيرة لحد، والكلام اللي أنا قولتهولك دلوقت تنسيه خالص.. ولو اضطريت أتأخر عليكي في يوم أو أبات برة أديكي عارفة أنا فين وبأعمل إيه.

ـ طب افرض حصل لك حاجة ؟؟

ـ لما أكون ح أتأخر في مهمة أو أبات برة ح أقولك قبلها، وكلها شهرين والمهمة تخلص.

ضمنت لي هذه القصة العبقرية شهرين على الأقل من السرمحة والحرية مع سوسن... ولم يعد نزولي من المنزل بعصاي البيضاء والنظارة السوداء محل شك من نرجس، بل على العكس كانت تغمرني بحنانها وقلقها عليّ في كل مرة وتودِّعني بسيل من الدعوات بأن يستر ربنا طريقي... كم أحبها هذه الزوجة الوفية التي تقدِّر تضحيات زوجها،، بالإضافة إلى مساعدتها لي في التدريب داخل المنزل على العيش كالمكفوف... ولشغل فراغها وحتى لا تتفرغ لي بالكامل اقترحت عليها ان تشترك في الجيم لممارسة الرياضة والحفاظ على رشاقتها مع بعض الصديقات، ولكنها فضلت تضامنًا مع الوضع الأمني ان تشترك في دورة تعليم الكاراتيه... كاراتيه كاراتيه، مش مهم.. المهم تبعد عني شوية.

ولا أنكر عليكم أن اختيارها للكاراتيه حوّل حياتنا إلى فيلم عبثي داخل الشقة... فإذا كنت حضرتك قادمًا من المطبخ في إتجاه الصالة فسوف تجدني أنا مرتديًا النظارة السوداء في تدريبات المكفوفين... وعلى بعد خطوات ستجد نرجس ترتدي بدلة الكاراتيه وهي تطلق صيحات متوالية مع كل حركة... وسترى رامي الصغير حائرًا خلفنا يقلدني للحظات، ثم ينصرف ليقلِّد أمه... ورغم عبثية هذا المشهد إلا أنني يجب أن أعترف أنه أعاد شيئًا من الألفة والحميمية للأسرة وأصبح لدينا مساحة حوار يومية بعد كل لقاء لي مع سوسن... هي تحكي عن تطورها في تدريبات الكاراتيه، وأنا أحكي لها عن مغامراتي

في عالم الاستخبارات الدولية وأجيب على أسئلتها الفضولية حول هذا العالم السري الغامض... فاجأتني ذات ليلة بسؤال منطقي:

ـ إلا قولي يا عبده.. هو إنت اسمك الحركي إيه ؟؟

ـ اسمي الحركي ؟؟

ـ أيوه.. ما هو لازم يكون لك اسم حركي... مش إنت بس، العملية كلها على بعضها لازم يبقى لها اسم في الملف.. دي حاجة معروفة في كل أفلام جيمس بوند.

ـ طبعًا يا نرجس، بس دي من الأسرار العليا اللي ممكن تضيع فيها رقبتي.

ـ سرك في بير يا حبيبي، ده إحنا ستر وغطا على بعض.

ـ أنا عارف يا نرجس ، وماعنديش شك في وطنيتك وإحساسك بالمسؤولية، بس الموضوع ده من أخطر ما يمكن لو حد عرفه.

ـ عيب يا عبده.. ما تخافش.

ـ العملية اسمها "المرارة" لإن الهدف منها نزع الخلايا الخبيثة من جسد الوطن.

ـ ده اسم ما يخطرش على بال العفريت.. وباين عليه شغل عالي قوي.. وإنت بقى اسمك الحركي إيه ؟؟

ـ اسمي الحركي.. "إيده وارمة".

ـ اسمك "إيده وارمة"، ليه بعد الشر؟

ـ أومال إنتي فاكرة إنه ح يبقى اسم زي اللي بتشوفيهم في الأفلام ؟ العقرب.. العنكبوت.. لا ياستي اسمي الحركي "إيده وارمة"، اسم له معنى ودلالة.. يعني ما بيعرفش ولا قادر يستعمل إيده من باب التمويه.. إنما في الحقيقة هو إيده طارشة.

ـ يا حبيبي يا عبده.. الله عليكي يا مصر.. روح يا "إيده وارمة" ربنا ينصرك ويحفظك لمصر ويقدرك على خدمة مصر.

ـ ربنا يخليكي ليا.. أديكي عرفتي كل حاجة وقلت لك على كل حاجة عشان تتأكدي إنه مهما كان الخطر.. إنتي الأمان يا نرجس والحضن والحب.. يا مراتي يا حبيبتي.

ـ يا حبيبي يا عبده.

ـ يا حبيبتي يا نرجس.

توالت لقاءاتي بسوسن في بيتها، وأدمنتُ رقص السلو معها.. وكل مرة كانت العلاقة بيننا تزداد شوقًا وتماسكًا.. اطمئنانها لكف بصري جعلها متحررة من ملابسها زيادة عن اللزوم... وبعد توالي لقاءتنا أيقنت أن زيارتها لشقة وسط البلد قد آن آوانها.. تمنعت في البداية ولكنني أقنعتها أنه لا خوف عليها من رجل كفيف يحبها ويتمنى فقط أن تنشر أنفاسها الذكية في ربوع شقته لتعطرها بوجودها الأنثوي... اقترحتُ عليها ظُهر الخميس، فقبلتْ بدلال... كان اقتراح الموعد له أكثر من سبب، أولها أن حركة الدخول والخروج في ذلك

اليوم كثيفة فلن يثير دخولها ريبة أحد... والأمر الثاني أنني يجب أن أحافظ على وجودي نهاية الأسبوع داخل المنزل حتى أتقي شر فضول نرجس وأضمن اطمئنانها بالكامل للمهمة الوطنية التي أقوم بها... نعم، الخميس القادم سيكون حفل الافتتاح للمغامرة الكبرى.

واثقٌ أنا من أن مقاومة سوسن لن تستمر طويلاً.. وها أنا في انتظارها على أحرَ من الجمر بستائر مسدلة وإضاءة خافتة والموسيقي التي تعشقها وبار فخم يحتوي المشروبات اللازمة... وها هو رنين الجرس ينبئني بوصولها... بالفعل كان قلبي يخفق.. كانت كل ذرة من جسدي متوترة بفعل الإثارة الشريرة لوجودها في شقتي...

دخلتْ بخطوات غزال.. وأنا أتسلم يدها وأسلمها لشفتي لأقبلّها...

ـ أنا مش قادر أصدق نفسي

ـ ولا أنا كمان يا عبده.. عمري ما تخيلت إني أزور واحد في شقته.

ـ واحد ؟؟ أنا مش واحد يا سوسن.. أنا قلب بيعشقك ويحترمك ويقدرك.

ـ بس بقى بلاش الكلام اللي يدوخ ده... شقتك حلوة قوي وذوقك بجد جميل.

ـ فرشتها كده بالتخيل.. التابلوهات.. لون الفرش، حتى التليفزيون جبته عشان أستعمله كأنه راديو عشان أتابع وأفهم اللي بيحصل في الأخبار، أو أسهر على فيلم حلو. بس حقيقي الشقة عجبتك ؟

ـ كيوت قوي يا عبده.

ـ إنتي اللي كيوت قوي.

ـ أنا ح أعمل قهوة.

بدأت الجلسة بالقهوة، ثم قليلاً من الرقص، ثم قليلاً من الشرب... حتى اطمأنت في جلستها... ومع سخونة الويسكي قرّرت تخفيف ملابسها وهي تداعبني بأني لن أراها وستفعل ما بدالها... كده تمام وقشطة... وفي خطوة تقدمية طلبتُ منها أن أضع رأسي على رجلها وأنا متمدد على الكنبة، فقبلتْ بدلال... ثم... وما أدراكم ما ثم هذه... هي الحرف الفاصل بين قدر وقدر... بين لحظة اشتعال الفتيل ولحظة انفجار القنبلة... ومهما كان الحدث عبيطًا تأتي ثم لتجعل منه لحظة تحول كاملة في حياة الإنسان... كانت أعصابها قد ارتخت من أثر الويسكي، وبينما أنا أضع رأسي على رجليها وهي تمسح بأصابعها خصلات شعري اختلَّ في يدها كأس الويسكي السابع فانسكب على وجهي... صرختُ كالممسوس والكحول الذي دخل في عيني تقريباَ أصابني بالعمى المؤقت... انتفضتُ أصرخ وأنا أجري نحو الحمام لأغسل عيني، بينما صيحات اعتذارها خلفي تملأ الكون

ـ حبيبي حقك عليا أنا آسفة.

طرد مني الألم كل المشاعر الحميدة في هذه اللحظة.. كنت أريد الاختلاء بنفسي في الحمام، فأخرجتُها وأغلقتُ الباب... وفي ذات اللحظة نفسها رنَّ جرس الباب بإلحاح... ملابسي المبتلة وعيناي

الحمراوان لم تمكنني من الخروج.. فارتدت هي بلوزتها لتجيب على الطارق... تملصتُ إلى غرفة النوم لتغيير الفانلة، وبينما امتدت يدي إلى الدولاب حتى ترامى إلى سمعي الحوار الذي شقلب حياتي رأسًا على عقب... كان الطارق هو البواب:

ـ الأوساذ عبد الستار فين ؟؟

ـ موجود .

ـ طب والنبي يا ست هانم خليه ينزل يركن عربيته بعيد عن المعرض، مش عايزين مشاكل.

ـ يركن عربيته ؟؟؟

ـ أيوه.. قلت له ١٠٠ مرة بلاش تركن قدام معرض الحاج سلامة، وما فيش فايدة. ما أنا ما بينوبنيش م الشقة دي إلا وجع القلب.

ـ يركن عربيته إزاي، هو بيسوق ؟؟

ـ أومال أنا اللي بأسوق ؟؟؟ وبالمرة قولي له فاتورة الكهربا ياريت يدفعها النهاردة، أنا ماعدش فيا حيل عشان أطخ المشوار للست مراته كل شهر.

ـ مراته ؟؟؟

ـ أومال مراتي أنا ؟؟؟

كالفأر المحبوس في المصيدة كنت أستمع إليهما... الحوار القاتل الذي تحولت بعده سوسن إلى ثور هائج ووحش مفترس.. اندفعتْ إلى حجرة النوم وبيدها أباجورة المكتب وهي تصرخ كالمجنونة:

ـ بتستعماني يا عبده ؟؟(طرااااخ)... متجوز يا عبده (طرااااخ) إتفووووو عليك... (طراااااااخ).

والأخيرة كانت لغلق الباب وراءها، بينما كانت كل طرااااخ سابقة تدشدش مناطق متفرقة في جسدي...

هكذا تكومت بجوار الدولاب مدغدغ ومفشفش ومتورم الوجه والفكين وأسفل منتصف الرقبة. وبصعوبة شديدة زحفت إلى مكان متسع حتى أستطيع أن أمدِّد كامل جسدي على الأرض وأنا أتلوى من الألم الذي لم يدع لي أي فرصة للإحساس بالندم على فقد سوسن ، ونهاية مغامرة كان لها أن تخلد في التاريخ ، لولا ذلك البواب الغبي الذي أفسدها وتسبب في تحطم عظامي.

بعد مرور ساعة.. اعتقدت أنني أستطيع النهوض من مكاني، ولكن حجم الألم لم أكن أتخيله.. ومتأوهًا كالمرأة التي على وش ولادة استطعت أخيراَ أن أصلب طولي... كان اتزاني غير سوي ، وزغللة شديدة في عيني نتيجة ضربات الأباجورة على رأسي، ولكن لا مفر.. يجب أن اعود إلى بيتي وإلى نرجس لأحكي لها قصة من قصص النضال تجعلها تمرِّضني في حنان ووطنية...

ما أن وصلت إلى باب العمارة حتى أدركت حجم السوء الذي أنا عليه.. بالكاد استطعت أن أدخل السيارة، ولم تنقضِ أمتار معدودة حتى أدركت أنني لن أستطيع القيادة... فبالزغللة التي في عيني والدوّار الذي في رأسي يمكن أن ينتهيا بي إلى كارثة، ولا مفر من ترك السيارة والبحث عن تاكسي...

وبينما كنتُ واقفًا مستندًا على السيارة فكّرتُ أن أتصل بمحمود لأخبره بحالتي ، وأرجوه أن يحضر ليقلني إلى البيت أو إلى مستشفى.. وما أن تناولت الموبايل من جيبي محاولاً الاتصال؛ رنَّ الجرس ، وحين هممتُ بالرد ، رزقني الله بعيل حرامي خطف الموبايل وجري.. لم أتمكن حتى من الصراخ.. وبالتأكيد لم أتمكن من الجري وراءه.. ضاع الموبايل في ليلة طين من لياليك يا عبد الستار.. بعد فترة توقفت أمامي سيارة أجرة فدخلتها متأوهًا يكاد يُغمى عليّ، وبحروف متلعثمة طلبتُ منه نقلي لأقرب مستشفى.
جاء التشخيص المبدأي: ارتجاج في المخ.. وحين سألوني عن الكدمات المنتشرة على جسدي ادَّعيتُ أنني سقطتُ من فوق موتوسيكل... وبعدها ذهبت في غيبوبة لمدة ٥ ساعات... وهي ساعات كانت كفيلة بطربقة الدنيا كلها فوق نافوخي...

بالطبع أثار تأخري قلق نرجس.. حاولتْ الاتصال بمحمود فأخبرها أنه تلقي مني مكالمة ولم أرد عليه وبعدها كان الخط خارج نطاق الخدمة... كان الاتفاق بيننا أنا ونرجس أنه في حالة تأخري لظروف متعلقة بمهمتي الوطنية أن أتصل بها لأطمئنها ، وما دام ذلك لم يحدث وانقضى على غيابي أكثر من ١٠ ساعات بدون مبرر ، إذن فالأمر خطير... وحفاظًا منها على سلامتي وعلى سرية المهمة الوطنية ؛ ألهمها عقلها الناضح أنه لا سبيل أمامها سوى...... المخابرات العامة !!!

(٨/٤)

سلِّم نفسك يا عبده

لم يكن من السهل عليها أو على أي مواطن الدخول إلى مبنى الإدارة العامة للمخابرات... ولكن الهوجة والهوليلة التي قامت بها نرجس ، وإلحاحها في الطلب أن تقابل أكبر مسؤول في المخابرات للحديث معه عن حياة زوجها المهددة بالخطر والتي قد تفشل بسببها المهمة الخطيرة التي تمس الأمن القومي...

أدخلوها من البوابة للتحقيق معها

ـ خير يا أفندم.. حضرتك عايزة إيه بالظبط

ـ أنا حضرتك اسمي نرجس عبد الحميد ، وبطاقتي أخدوها على البوابة.

ـ أنا عارف كل بيانات حضرتك وعايز أعرف سبب الزيارة.

ـ جوزي في خطر يا فندم.

ـ جوز حضرتك مين وبيشتغل إيه ؟

ـ جوزي يا فندم يبقي إيده واررمة

ـ إيده وارمة ؟

ـ أيوة يا فندم، وماكانش مفروض أعرف أو يقول لي.

ـ ماكانش مفروض يقولك إنه إيده وارمة ؟؟؟

ـ طبعًا يا فندم دي أسرار أمن قومي.. بس أنا برضه مراته، وللأمانة هو مارضيش يقول لي إلا بعد ما حلفت له إني ح أحفظ السر عشان خاطر مصر.

ـ عشان خاطر مصر ؟؟؟

ـ أيوه يا فندم... وهو ما رجعش البيت بقاله أكتر من ١٥ ساعة وتليفونه مقفول... أكيد في خطر.. أنا قلت أجي أستغيث بيكم، وأكيد حضرتك عارف بتفاصيل العملية السرية كلها وتقدر تطمني عليه.

ـ وكمان بيعمل معانا عملية سرية ؟؟

ـ أيوه يا فندم "عملية المرارة".. ربنا يحميكم ويوفقكم فيها.

هنا كان المسئول قد تأكد تمامًا أن نرجس مجنونة رسمي وعقلها خُلل... وخلال دقائق معدودة كانت إجراءات تحويلها لمستشفى الأمراض العقلية قد تمت في هدوء... وفي ظرف ساعة كانت مشرّفة بالجلابية البيضا في عنبر الخطيريين بمستشفى العباسية... ولكن هذا الإجراء استتبعته إجراءات أخرى في التحري عنها وجمع المعلومات التي أفادت بأنها ليس لها تاريخ إجرامي أو مرض عقلي، واستتبع الأمر أيضًا جمع المعلومات عني وعن كل تفاصيل حياتي.

وبعد طول بحث في المبنى الكبير، وبعد استيضاح الصورة من كافة النواحي قرّرت الجهات السيادية حفظ التحقيق وأصدرت قرارها العادل:

(سيبوه لنرجس هي اللي ح تجيب حق مصر).

ومن ثم بينما أنا في غرفة المستشفى بعد إفاقتي من الغيبوبة الليلية إذا بي أجد نرجس أمامي تدخل في هدوء...

- يا حبيبتي.. عرفتي إزاي اني هنا ؟.. إسكتي يا نرجس على اللي حصل لي... كنت ح أموت يا نرجس.

أغلقتْ باب الحجرة في هدوء وإحكام، وبدأت في خلع ملابسها... ليتبين لي أنها ترتدي تحتها بدلة الكاراتيه... شدَّت الحزام على وسطها وبدأت الطحن .

كنت أولول كالمعددة من قسوة الضرب وهي تصيح صيحات الكاراتية.. لم ينجدني أحد، ويبدو والله أعلم أن الجهات السيادية أصدرت تعليماتها للمستشفى بعدم الإزعاج.....

وبينما عزيزي القارئ تحمل أنت بين يديك هذه المذكرات... أكون أنا في قسم الكسور بمستشفى العظام أكمل شهري الثالث بعد ١٢ عملية تركيب مسامير وجبس كُلي وجراحتين عمود فقري... لا يتحرك مني سوى سبابة يدي اليمنى لزوم التشهد.. وجفوني التي لا ترتعش ولا أفتحهما الا لحظة دخول الممرضة "أم أشرف" وهي تطعمني في فمي...

نعم...

أم أشرف...

وتلك قصة أخرى

❁ ❁ ❁

اكتملت في

٢٤ / ٨ / ٢٠١٥

القاهرة

١٠,٣٠ صباحًا

المؤلف في سطور

- كاتب وروائي وصحفي ومخرج برامج وأفلام تسجيلية.
- منتج إعلامي، مالك وكالة "ماياتي" للإنتاج الإعلامي.
- عضو غرفة صناعة السينما.
- كاتب حر بالعديد من الصحف المحلية والعربية والعالمية.
- نال العديد من الجوائز في مجالات الإعلام والمسرح والسيناريو، منها:

ـ الجائزة الذهبية من مهرجان الإعلام العربي، عن برنامج "الجلسة علنية"، مع نجوي إبراهيم، عام ٢٠٠١.

ـ فضيه التأليف الدرامي عن المسلسل الكوميدي "مذكرات طفل" من مهرجان الإعلام العربي، أعوام ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٦ وفضية المجلس القومي لحقوق الإنسان عام ٢٠٠٧

ـ فضيه مهرجان القاهره السينمائى الأول لسينما الطفل عام ١٩٩٠ في السيناريو عن فيلم "بطل حي الأربعين". إخراج: د. زينب زمزم.

ـ فضية مهرجان الإسماعيلية الدولي للسينما التسجيلية عامي١٩٩٠ـ ١٩٩١ عن فيلمي : "وصية كليب ــ العودة" إخراج د. عادل يحيى.

ـ فضية التأليف الإذاعي "مهرجان الإذاعة والتليفزيون" ٢٠٠٦ـ الإذاعة المصرية، البرنامج العام.

- شهاده تقدير من هيئه المسرح عن مسرحية "مخاطرة" معالجة وأغاني لنص "جان دارك" لبريخت - عرضت على مسرح الشباب والغوري ١٩٩٢، بطولة: محمد رياض، حنان شوقي، صبري فواز.

- أدرجت أفلامه التسجيلية ضمن مكتبات الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية من بين أهم الأعمال التي تدعم حقوق الإنسان.

- حاصل على دورة أكاديمية ناصر في الأمن القومي الإستراتيجي ٢٠١٥.

- **صدر لـه :**

- ملك.. سفر الخطية : رواية. دار نهضة مصر، القاهرة ٢٠١٤.

- ليلة طين (من مذكرات فلاتي تائب). رواية.
شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٦.

- **البريد الإلكتروني : mhmt42003@yahoo.com**



(+2) 02 27238004 / (+2) 01288890065

www.shams-group.net